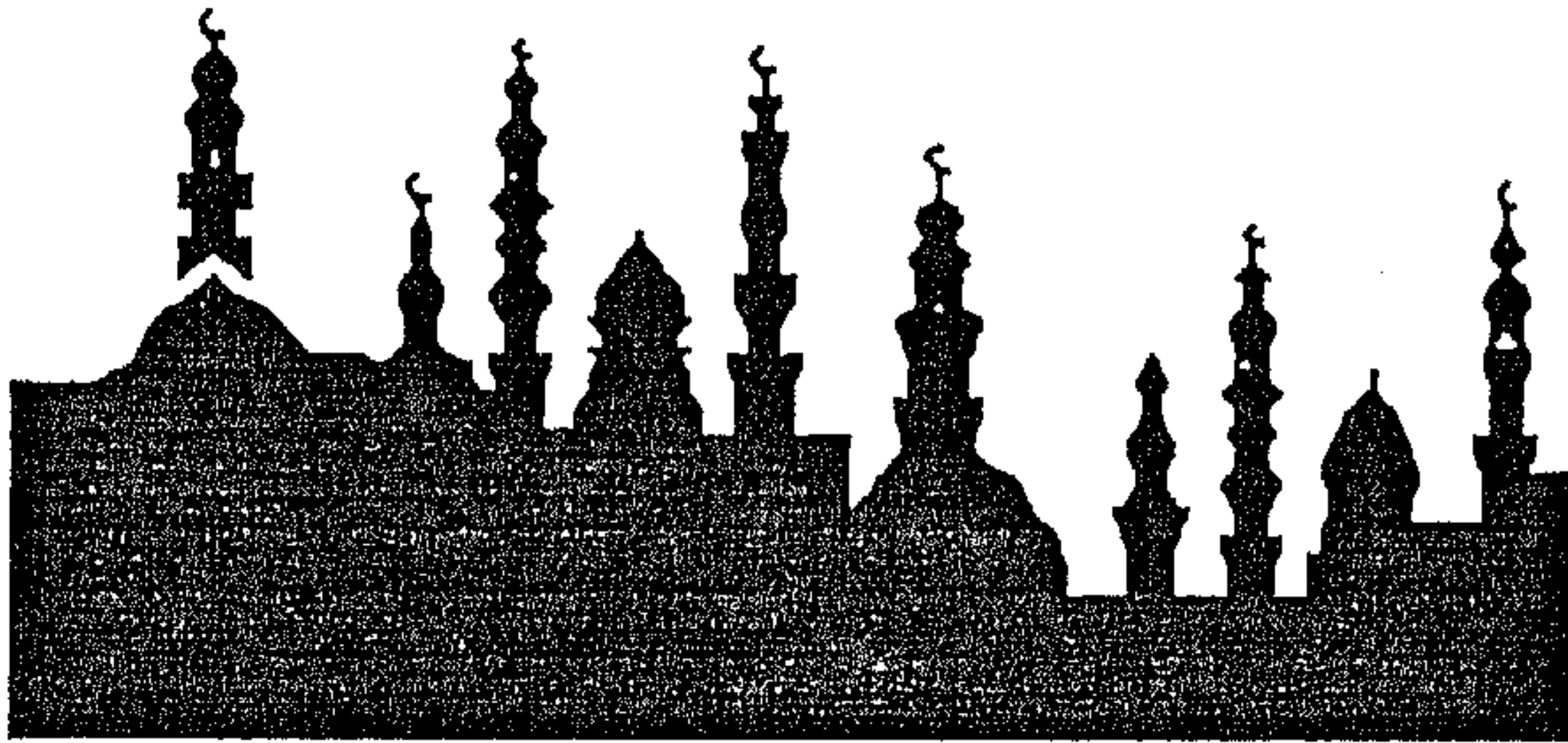


زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم
وحكمة تحريكهن

عبد الغني عبد الرحمن محمد

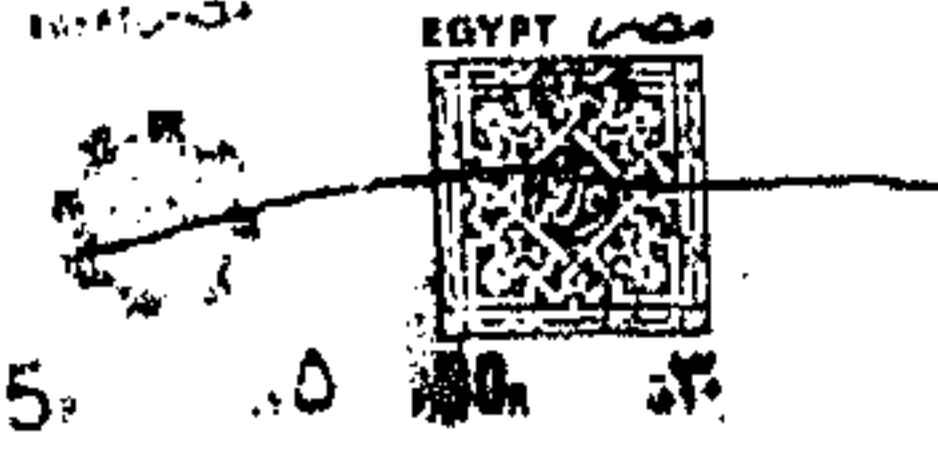


الناشر
مكتبة عبد بولي

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation



الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد / الأستاذ محمد الفاضل عبد الرحمن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

في بناء على الطلب الخاص بنقص ومراجعة كتاب : *ترويض القلب* تأليف محمد مصطفى عبد السلام -
رحمة الله عليه بعد ذلك تم تأليفكم

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع
من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
لجنة البحوث والتأليف والترجمة

(Handwritten signature)



تحريرا في ١٤٠٨ / ٦ / ٢٩
الموافق ١٦٨٨ / ٣ / ١٧

المحتويات

الصفحة

- ٥ - تمهيد
٧ - مقدمة

الباب الأول :

- ١٣ - موجز سيرة الرسول

الباب الثاني :

- ٢٩ - غزوة أحد
٢٠ - النبي ﷺ وحكمة تعدد زوجاته
٢٣ - التعدد في الشريعة الإسلامية

الباب الثالث :

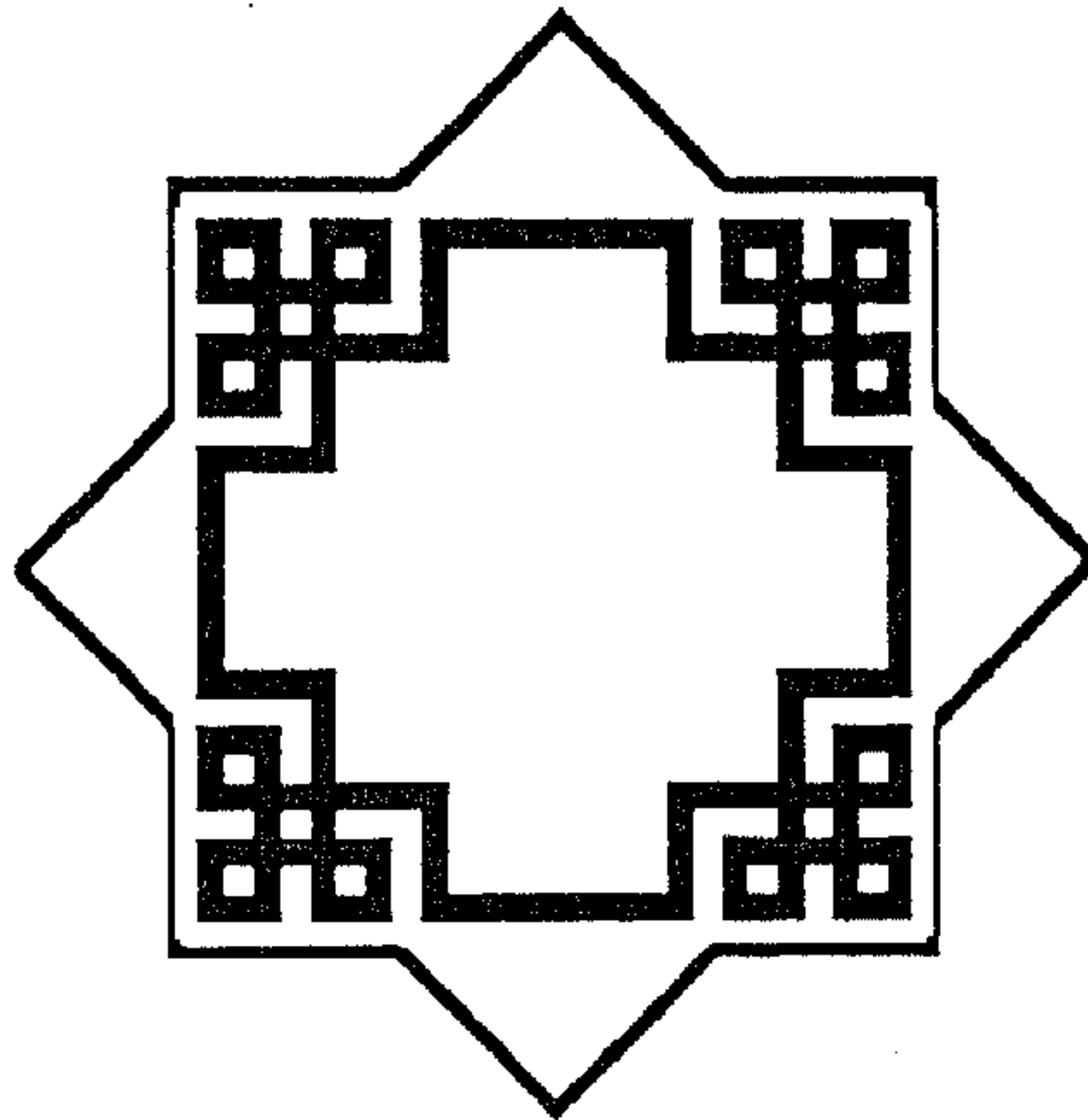
- دراسة في زوجات النبي ﷺ المؤمنات (رضي الله عنهن)

- ٤٢ ١- خديجة بنت خويلد
٤٤ ٢- سودة بنت زمعة
٤٥ ٣- عائشة بنت أبي بكر
٤٧ ٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب
٤٨ ٥- زينب بنت خزيمة
٤٩ ٦- أم سلمة - هند بنت أبي أمية
٥١ ٧- زينب بنت جحش الأسدية
٥٢ آراء اثنين من المستشرقين والردود المنطقية لهذا الزواج
٥٦ ٨- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار
٥٧ ٩- صفية بنت حي بن أخطب

- ٥٨ ١٠ - أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان
٦٠ ١١ - مارية بنت شمعون
٦٢ ١٢ - ميمونة بنت الحارث الهلالية

الباب الرابع :

- ٦٥ - زواج النبي وخصومه
٦٦ - الردود المنطقية على بعض الأسئلة الموضوعية
٧٢ - الختام
٧٤ - بعض انجازات الإسلام للحضارة الإنسانية في زمن النبي ﷺ
٧٦ - المراجع العربية والأجنبية المختارة



تمهيد

في عصر ما قبل الإسلام (عصر الجاهلية) لم تكن للمرأة مكانة في شبه الجزيرة العربية . ولما جاء الإسلام أعطاهم القرآن الكريم الحقوق الانسانية وأكبر مكانتها وعظم رسالتها . ومن ثم كان النبي محمد ﷺ الزوج المثالي مع زوجاته ورحيماً بهن .

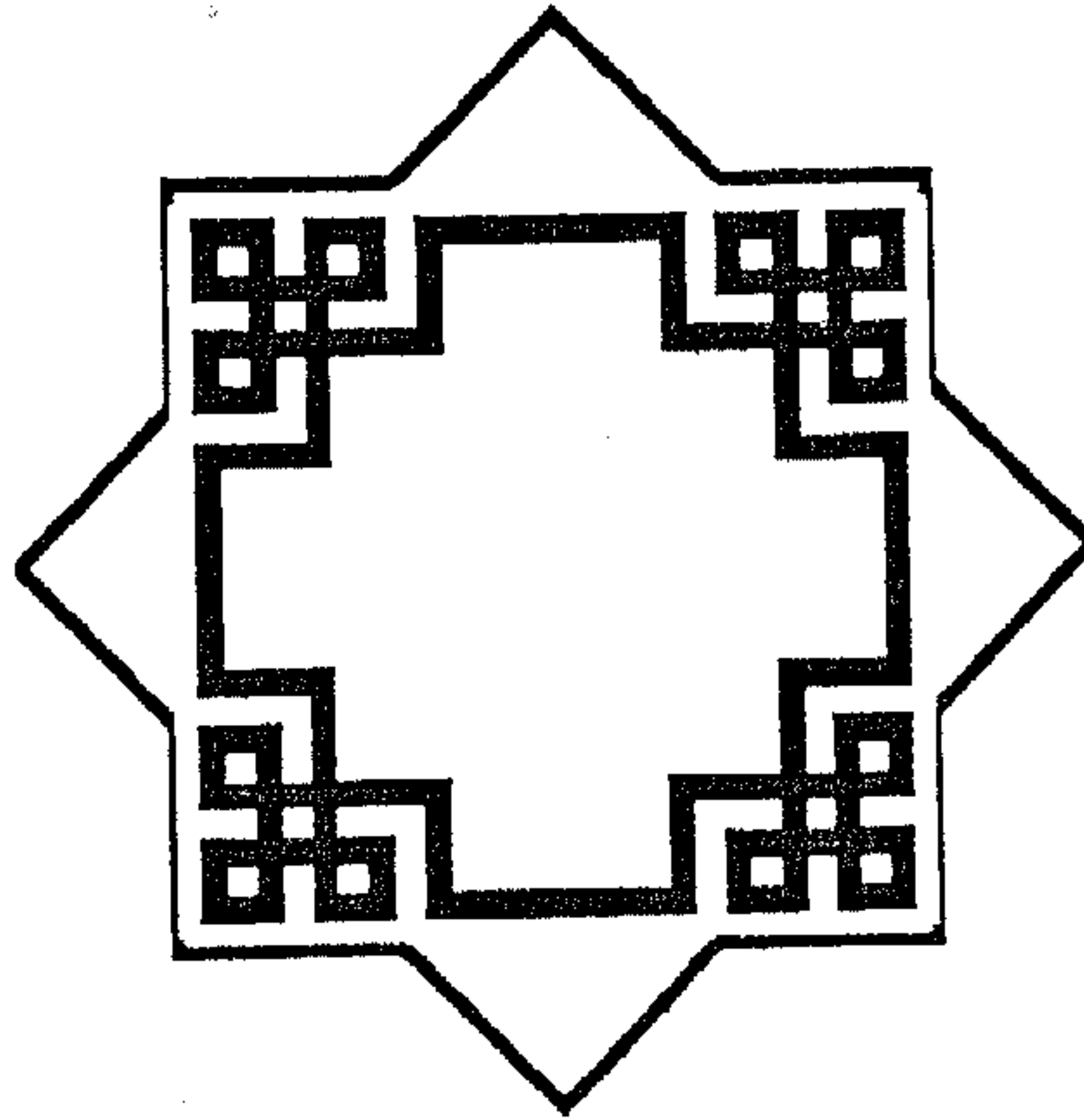
بدأت فترات نزول سورة «النساء» في الشهر التالي لغزوة «أحد» في نهاية العام الثالث الهجري ، وفي هذه الغزوة استشهد كثير من الأزواج المؤمنين تاركين وراءهم الأرمال والأطفال . وعالجت السورة الوضع الجديد بعد الغزوة من حيث إعطاء النساء حقوقهن الانسانية بالإضافة إلى أحكام الزواج والطلاق والميراث وغير ذلك .

ومنذ أن كان عمر النبي ﷺ ٢٥ سنة حتى ٥٠ سنة لم يتخذ إلا زوجة واحدة هي السيدة خديجة التي كانت تكبره بخمس عشرة سنة ، ورغم ذلك كان وفيها مخلصاً لها طوال هذه الفترة ، وبعد وفاتها بدأت ظاهرة تعدد الزوجات تظهر إلى حيز الوجود ، ومعظم هذه الزوجات ثيبات منهن الأرمال ، ومطلقة واحدة هي زينب بنت جحش وبكر واحدة هي عائشة بنت أبي بكر صديقه العزيز ، ومعظم الأرمال اللاتي اقترن بهن النبي استشهد أزواجهن في الغزوات وفي سبيل الله لا يجدن من يعولهن . . تم هذا التعدد والنبي مهتماً بواجبات الدعوة الإسلامية ، والإعداد المستمر للغزوات الحربية بالإضافة إلى أحوال المؤمنين الجدد على امتداد الدولة الإسلامية الجديدة وعاصمتها المدينة . كل هذا قضى على الوقت الذي كان يمضيه النبي مع زوجاته ومعظمهن من المسنات .

وبخصوص التعدد أن القاعدة في الإسلام هي الزواج بواحدة وتعدد الزوجات هو الاستثناء . وعموماً التعدد من طبيعة بعض الأزواج في بعض البلاد سواء كان قبل الإسلام أو بعده ، وقد جاء الإسلام لينظم التعدد ويضع حداً له . . وشتان بين تعدد الزواج العادي وهو للمتعة لأنهم صغيرات السن وتعدد النبي وهو للإعالة والحماية والصيانة لأنهن كبار السن . كما أن التعدد عند النبي هو سياسة لجذب القبائل لاعتناق الدين الإسلامي الجديد ، وتخفيف عداوة القبائل اليهودية له .

وقد زوج الله النبي من زوجة دعيه زيد بالتبني لكي يبطل عادة جاهلية تمنع الرجل من الزواج بامرأة دعية .

وعموماً التعدد من طبيعة المجتمعات القبلية كنتيجة للظروف الاجتماعية في أي زمان ومكان . وهذا النوع من التعدد ليس للمتعة فقط وإنما البحث عن الطفل الذكر وتفضيله على الأنثى ، حتى بالنسبة للزوجة العاقر التي لا تنجب فإنها تفضل التعدد وتقبل أن تكون نصف زوجة مع زوجة أخرى لزوجها وأخيراً وليس آخراً إن التعدد ظاهرة طبيعية اجتماعية يجب توقعها في المجتمعات العربية .



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

من المعروف أن كل نبي أو رسول أرسله الله لقومه لعبادة الله الواحد له أكثر من معجزة ليؤمنوا به ، ومعجزة نبينا ورسولنا الأمي هي القرآن الكريم وهي باقية حتى يوم الدين . ووظيفة الرسول تفسير الأوامر والنواهي الإلهية لإسعاد قومه والناس من بعدهم في الدنيا والآخرة .

وأود أن أوضح في مقدمتي خطتي لهذا الكتاب لكي أعطي لقرائي من العربية والانجليزية نصيبهم من المعرفة عن زوجات النبي محمد وحكمة تعددهن . فمما لا شك فيه أن المسلم العادي حينما يسأل بعض الأسئلة المتعلقة بزواج النبي وظروف زواجهن ، بالطبع لا يستطيع أن يعطى الإجابة الصحيحة ، كذلك المسجد وبصفة خاصة خطبة صلاة يوم الجمعة ليست كافية للإجابة الكاملة ، زد على ذلك فإن المسلم المعاصر يريد أن يفهم هذه الحياة الخاصة للنبي الكريم في أقل وقت وأقل جهد دون تعقيد وتطويل .

والذي شجعني على ذلك عملي كأستاذ اللغة الانجليزية بأكاديمية الفنون بمصر ، وكنت أنا الأستاذ المسلم الذي كان كثيراً ما يُسأل من زملائه الأساتذة الأجانب بمعهد الموسيقى العالي عن القرآن الكريم وهل هو صادر عن الله تعالى أم أنه تجميع للتوراة والانجيل؟ والحمد لله قد انتهيت من تحقيقه وطبعه في كتاب باللغتين العربية والانجليزية . والسؤال الآخر عن رسول الله وظروف تعدد زوجاته المؤمنات الطاهرات ، فهذا الكتاب الذي نحن بصدده خير إجابة ولا أستطيع الحديث عن زوجات النبي وحكمة تعددهن إلا بذكر مختصر بسيط جداً عن تاريخ حياة النبي والرسول محمد عليه الصلاة والسلام بعد مقدمة الكتاب . هذا وقد استعنت بآيات القرآن الكريم لامكان الرد على أصحاب العقائد الأخرى وخاصة المستشرقين وافتراءات المكذبين الذين لا يعرفون المعلومة من مصادرها الأصلية (اللغة العربية) .

ومن المعروف أن ظروف الحياة في عصرنا الحالي لا تسمح لنا بمطالعة المجلدات والكتب الضخمة الخاصة بسيرة النبي محمد وظروف زواج كل زوجة لكي لا نظلم الرسول الكريم ، فيقرأ العربي العربية ، والقارئ الأجنبي الانجليزية اللغة الثانية لهذا الكتاب .

ويسعدني كثيراً أن أقدم كتابي هذا باللغتين العربية والانجليزية ، وبكل تواضع بذلت جهداً كبيراً لاعطاء قراء الانجليزية المعنى الكامل ، ثم طوعت اللغة الانجليزية نفسها مثل اللغة العربية لتكون قريبة من المفهوم الاسلامي المعاصر .

يتناول الكتاب بعض المسائل التي تهم الانسان المسلم في حياته ثم رتبته وصنفت كتابي شكلاً وموضوعاً على النحو التالي :

موجز سيرة النبي ﷺ - غزوة أحد - التعدد في الشريعة الاسلامية - زوجات النبي الاثنتي عشرة - آراء بعض الكتاب المستشرقين والرد عليها - زواج النبي وخصومه - بعض انجازات الإسلام للحضارة الانسانية في عصر النبي ﷺ .

وقد أعد هذا الكتاب أساساً ليقابل احتياجات الدعاة العرب والذين يدعون باللغة الانجليزية أو ينوون السفر إلى الخارج والمفكرين والباحثين وإلى كل محبي الحقيقة من المسيحيين وغير المسيحيين وإلى جميع المسلمين المغتربين وغير المسلمين من قراء العربية والانجليزية في جميع أنحاء العالم .

ثم اخترت عنوان الكتاب تحت اسم «زوجات النبي محمد ﷺ وحكمة تعددهن» .

وخلال حياتي ... قرأت بعناية كتباً دينية كثيرة لمختلف العقائد بجانب بعض الترجمات والتعليقات الأجنبية ، خرجت منها بأسف كبير للهجوم العنيف والظالم على النبي الكريم من المستشرقين وخاصة المترجمين الأوربيين المتعصبين والذين فشلوا غالباً في هذا الشأن بسبب عدم دراستهم للغة العربية وأدائها جيداً - ولو كانوا تعلموها جيداً أيضاً لكانوا قد كتبوا الحقيقة عن حكمة التعدد في الشريعة الإسلامية .

وليس هنا مجال لذكر بعض الترجمات الباطلة غير العربية ومقابلة هذه الادعاءات بالبراهين والمستندات الصادقة ولكن أود أن أشير إلى الآداب القرآنية لا يمكن ترجمتها إلى أية لغة على وجه الأرض لأن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم غنية بأساليبها ومعانيها ولا توجد لغة أخرى غنية بالأساليب والمعاني مثلها ولكن إذا قاموا بهذا العمل فسوف تكون الترجمة حقيقة حرفية .

وقد حاولت دون يأس تعريب الكتب الانجليزية التي تناولت موضوع التعدد وبالتالي ترجمة الكتب العربية إلى الانجليزية تلبية للاحتياجات الروحية الضرورية لكل مسلم يتحدث بإحدى اللغتين العربية والانجليزية أو الاثنتين معاً وبعون الله تعالى أخرجت هذا

الكتاب بهذه الصورة التي بين أيديكم الآن - وعلى هذا أرفق كلاً من النسختين العربية والانجليزية وكل نسخة طبق الأصل من الأخرى ليسهل المراجعة عند اللزوم .

والهدف الوحيد من هذا الكتاب أنه يشرح - بصدق وأمانة علمية - التعدد في الشريعة الاسلامية في أسلوب جديد على أساس الآيات القرآنية ليشبع حاجة الانسان العادي والمتقف الروحية ، وأعتقد أن كل مسلم ومسلمة يعيش على وجه الأرض شغوف جداً ليتفهم حكمة تعدد زوجات النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد كتبتة باللغة الانجليزية بجانب النسخة العربية المنفصلة لأنها اللغة العالمية الواسعة الانتشار ويتحدث بها أكثر من ألف مليون نسمة في العالم .

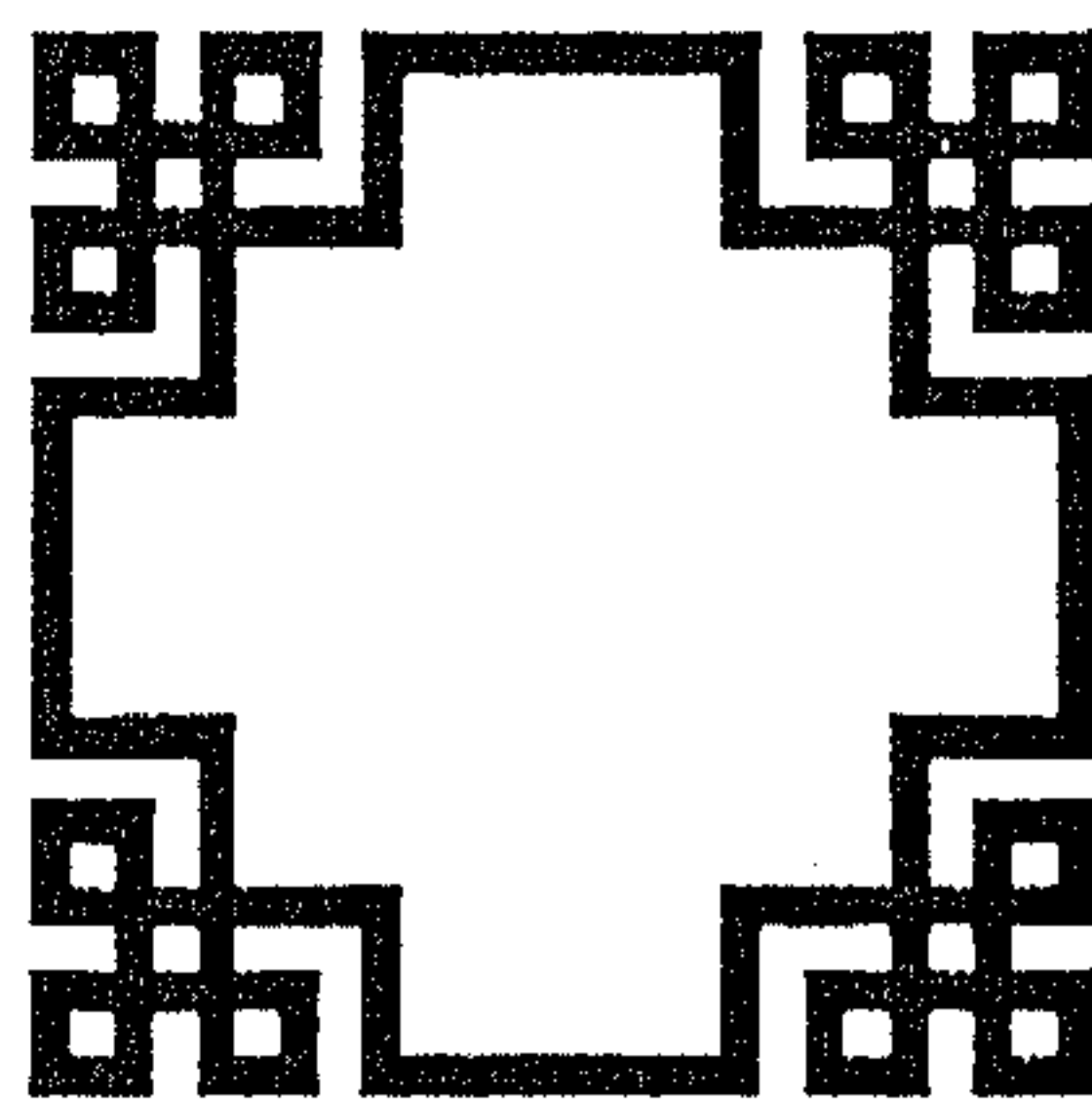
وأعتقد أن المكتبة الاسلامية في كل مكان وخاصة جميع المراكز الاسلامية بالخارج في أمس الحاجة إلى مثل هذا النوع من التأليف ، كما أرجو من القراء الأعزاء أن يبعثوا بملاحظاتهم على دار النشر لاستدراكها في الطبعة الثانية إن شاء الله .

وبهذا الجهد المتواضع من مسلم مصري لغته الأصلية العربية قدمت الملامح الأساسية لكتابي هذا وأملّي أن أكون قد ألقيت الأضواء على ما يحتويه الكتاب .

وكلمة أخيرة ... هي أنني أرجو الله دائماً أن ينفع المسلمين في كل مكان بهذا الكتاب وأن يمنحني الثواب والعافية .

وفُقنا الله إلى الفقه في دينه والاهتداء بهديه أمين ...

عبد الغني عبد الرحمن محمد





الباب الأول

موجز سيرة الرسول ﷺ

موجز سيرة النبي ﷺ

ميلاد الرسول :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من قبيلة قريش ، ولد في مكة يوم الاثنين من شهر ابريل عام ٥٧١ ميلادية الموافق عام الفيل (١) .

وقبل ميلاد الرسول توفي والده عن أربعة (٢) وعشرين عاماً أثناء خروجه إلى الشام (٣) في تجارة ودفن في يثرب (المدينة) ، وتكفل به جده عبد المطلب وبعد وفاته تكفل به عمه أبو طالب ثم توفيت أمه عندما كان عمره ست سنوات .

شبابه وزواجه الأول :

بدأ محمد حياته كراعي غنم ، وعندما صار شاباً سافر مع عمه في رحلات تجارية إلى الشام ونظراً لأمانته قام برحلات عديدة لحساب السيدة خديجة وهي أرملة ثرية من أشرف نساء قريش . زاد اعجابها به وخاصة بعد ما قص عليها خادمها الكبير ميسرة قصصاً عن الرسول ، أما هو فلم يفكر في الزواج منها لفارق السن ، فهي تكبره بخمسة عشرة سنة ، وفارق أكبر في المركز الاجتماعي فهو فقير ويتيم وهي من أكبر أشرف مكة وأغنيائها . ولكن كيف تكاشفه في أمر الزواج منها فأرسلت صديقة لها تسمى «نفيسة» فاعتذر لقلته ماله ثم كاشفته بأمر السيدة خديجة وتم الزواج وكان سعيداً جداً معها (٤) ، وهذا الزواج أعطاه نفوذاً كبيراً ومكانة عالية بين أشرف مكة .

وعندما كان محمد شاباً فقد تعلم فنون القتال والفروسية كعادة شباب العرب وكان بعيداً عن مجالس الخمر ولعب الميسر ، يكره عبادة الأصنام الموجودة حول الكعبة ، كما يتصف بالأمانة والتعامل مع الناس حتى لقبوه بالأمين .

(١) [قطيع من الفيلة بقيادة أبرهة الأثيوبي (الحبشي) لهدم الكعبة لمنافستها الكليس (الكنيسة) باليمن ...] .

(٢) د . علي ابراهيم حسن - التاريخ الاسلامي العام ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٣) أراضي الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان .

(٤) د . علي ابراهيم حسن - نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ص ٢١ - ٢٢ .

الحجر الأسود :

وعندما أراد الكفار تجديد الكعبة ويقيمون حيطانها بمقدار قامة رجل ليضعوا الحجر الأسود (من الجنة) في مكانه فاختلفت القبائل مع بعضها وكانت على وشك القتال وأخيراً اتفقوا على رأي واحد وهو أن أي شخص يأتي إلى الكعبة الآن هو الذي يضع الحجر الأسود مكانه ، وبالصدفة البحتة أتى محمد الأمين وفرش عباةته وطلب من كل قبيلة أن تمسك بطرف العباة والحجر الأسود في وسطها ووضعوا جميعاً الحجر مكانه وأصبحت القبائل بهذه الطريقة أسرة واحدة .

شخصيته :

أما شخصية الرسول فكان ذكياً ونبيهاً وذو أخلاق حميدة وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه على خلق عظيم (١) ، كما لا يعتقد في دين قومه وكان محباً للهدوء والوحدة ، وعادة ما كان يعتزل أسرته من وقت لآخر ليتفكر في خلق السموات والأرض في غار حراء بجبل صغير لا يبعد عن مكة كثيراً وشجعته على ذلك السيدة خديجة وكانت ترسل له الطعام في الغار .

بداية نزول القرآن :

عندما بلغ الرسول الأربعين من عمره وفي يوم الاثنين الموافق ١٧ من رمضان (٢) وكان يتعبد في غار حراء سمع صوتاً ملائكياً يقول :

الملاك : اقرأ .

محمد : ما أنا بقارىء .

الملاك : اقرأ .

محمد : ما أنا بقارىء .

الملاك : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم (٣) .

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ص ٣٩٣ .

(٣) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

وعندما قرأ محمد هذه الآيات الكريمة وهم بالخروج من الكهف سمع نفس الصوت يقول : «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل» . وعندما رفع عينيه ليرى الملاك على هيئة انسان واقفاً في أفق السماء ... وفجأة اختفى الملاك جبريل ، أما الرسول فعاد في حالة من الفزع إلى بيته وقابل زوجته السيدة خديجة التي هدأته وأخبرته بأنه سوف يكون نبي قومه مع أنه أمياً ولم يعرف القراءة وقد نطق خمس آيات بعد الملاك مباشرة وهذه أولى معجزاته .

نشر الدعوة سرّاً :

بدأ النبي بدعوة أسرته وأصدقائه المخلصين لمدة ثلاث سنوات لعبادة الله الواحد سرّاً وترك عبادة الأصنام وأول المؤمنين زوجته السيدة خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وخادمه زيد وصديقه أبو بكر وبعض الأقارب والضعفاء .

نشر الدعوة علناً وعمداء قريش له :

وفي نهاية السنة الثالثة تقريباً ، أمر الله رسوله أن يعظ الناس علناً وليعبدوا الله الواحد ويتركوا عبادة الأصنام وما أن شعرت قريش بذلك حتى اتهمت الرسول بالجنون المتقطع لأن عبادة الأصنام بالنسبة لها مصلحة اقتصادية ومنفعة أدبية ثم نشطت عداوة قريش له وخاصة عمه أبو لهب وزوجته وأبو جهل ، ومن الناحية الأخرى بدأ الكفار يعذبون أرقأهم الذين آمنوا بمحمد وفي بداية الأمر امتنعوا عن إيذاء الرسول لحماية عمه أبو طالب له ، ولكن قريشا لم تستطع كتمان غيظها فذهب بعضهم إلى عمه أبي طالب وأخبروه إما أن يمتنع محمد عما يقول أو ينازلوه ، فرفض محمد ما قاله عمه .

إسلام عمر بن الخطاب :

جاء إسلام عمر في الوقت المناسب للمسلمين الذين تخلّفوا في مكة ليشتد قوتهم ويقوي عزيمتهم . وبإسلام شخصية قوية عظيمة مثل عمر أحدثت دويماً عظيماً بين المكين عموماً ، ومن قوته أخذ في الصلاة جهراً عند الكعبة وصلى المسلمون معه .

ثم لجأت قريش إلى مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب اجتماعياً واقتصادياً وتجارياً ، ثم علقوا صحيفة المقاطعة على الكعبة ، فاضطر أهله إلى النزوح إلى شعب أبي طالب بشرق مكة وبعد ثلاث سنوات من المقاطعة طالب زهير بن أمية برفع الحصار عن بني هاشم وبني عبد المطلب ووافقت قريش على ذلك (١) .

(١) د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ص ١٧٨ - ١٧٩ .

الرسول والشعراء :

من المعروف أن الشعراء لم يكونوا في الجاهلية مفخرة قبائلهم فحسب بل كانوا يلعبون أدواراً سياسية هامة أيضاً وخاصة في الحرب والسلام عن طريق مقدرتهم البيانية وفي عهد الرسول ﷺ اعترف معظم الشعراء الكبار بالرسول وإعجاز القرآن لهم ودخلوا الإسلام وأشهرهم اثنان هما : لبيد ، والأعشى (١) ، وكان لبيد شاعر قبيلة كلاب - إحدى قبائل هوزان ، والآخر وهو الأعشى فهو شاعر طوآف ، فمدح النبي كثيراً ، ولكن الرسول ﷺ لم يمل إلى شعرهما باعتبار أن الشعر من أجمل مظاهر الحياة الوثنية القديمة بالإضافة إلى كره القرآن للشعراء حيث يقول : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » (٢) ، كما أخص بالذكر حسان بن ثابت الشاعر الذي لازم الرسول فترة طويلة ومدحه كثيراً .

الهجرة إلى أثيوبيا :

في السنة الخامسة من الدعوة الإسلامية زاد عدد المؤمنين بالرسول ولكن ضعافاً لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم ضد ظلم قريش لهم . فنصحهم النبي بمغادرة مكة إلى الحبشة لما اشتهر به النجاشي من العدل والكرم ويعيشوا في سلام ، وبلغ عددهم ثمانين رجلاً غير النساء والأطفال ، وعندما علمت قريش بذلك انزعجت كثيراً ، وانزعجت أكثر عندما علمت أيضاً بإسلام عمر بن الخطاب .

عام الحزن :

وفي خلال عام واحد توفي عمه أبو طالب وبعد ذلك بقليل توفيت زوجته السيدة خديجة ولهذا السبب سمأه النبي عام الحزن لأن عمه أعطاه الحماية والصمود وزوجته خديجة أعطته الحب والحنان .

انتهزت قريش عام الحزن واشتدت في إيذاء الرسول وأصحابه فخرج بعد ذلك إلى الطائف مستجيراً بقبيلة ثقيف وهدايتها ولكن هذه القبيلة جاملت قريشاً وأمرت سفهاءها وأطفالها بإيذاء الرسول ثم شكا إلى الله وعاد إلى مكة .

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ، ومنير البعلبكي ، بيروت ص-ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الشعراء : الآيات : ٢٢٤ - ٢٢٦ .

رحلة الرسول إلى السماء :

بعد وفاة عمه أبو طالب وزوجه خديجة أصبح الرسول حزيناً جداً بالإضافة إلى عدم توفيقه في هداية قبيلة ثقيف بالطائف وعودته إلى مكة ، عوضه الله بهذه الرحلة فأسرى به ليلاً في ٢٧ من شهر رجب جسداً وروحاً من المسجد الأقصى بالقدس حيث صعد إلى السماء حتى سدرة المنتهى ، وقد رأى نتيجة الأعمال الخيرة في الجنة ، ونتيجة الأعمال الشريرة في النار ، وفي هذه الليلة فرضت الصلوات الخمس على المسلمين ، وهندما هبط الرسول إلى الأرض أخبر قومه بما رأى في بيت المقدس وفي السماء فلم يصدقوه . فأتيت لهم أن هناك قافلة تجارية عائدة من الشام إلى مكة وأن بعيراً منها مريض وسوف تصل هذه القافلة عند غروب شمس أحد الأيام وبعد ذلك صدقته قومه .

بيعة العقبة الأولى :

استمر الرسول ينتهز فرصة مواسم الحج فيدعو الناس للإيمان بالله وترك عبادة الأوثان . وفي العام الحادي عشر من البعثة النبوية جاءت وفود من قبيلتي الأوس والخزرج من المدينة إلى مكة للتجارة والحج فاستمعوا لدعوته فأمنوا به وصدقوه . وفي العام الثاني عشر عادت هذه الجماعة الصغيرة بعدما أخبروا قومهم بما سمعوا ورأوا وبايعوا الرسول عند العقبة الأولى وطلبوا منه أن يرسل معهم تلميذه مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن الكريم وتم ذلك .

بيعة العقبة الثانية :

وفي العام الثالث عشر من الدعوة الإسلامية أتى من المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من قبيلتي الأوس والخزرج إلى مكة واتفقوا مع الرسول لتأييده ، في دعوته النبيلة ودعوه لزيارة مدينتهم وقبلت هذه الدعوة لأسباب كثيرة منها أن الرسول يريد بدأً أمناً لينشر رسالة ربه . أما أهل يثرب فقد وجدوا في هذه البيعة حلفاً سياسياً يقوي شأنهم ضد اليهود واجلاءهم عن أراضيهم ويخفف العداوة بين أهل يثرب من الأوس والخزرج - بجانب هذا في المدينة بيت أخوال الرسول ، وقبر أبيه عبد الله ، وفي منتصف الطريق يوجد قبر أمه رحمة الله عليها .

مؤامرة لقتل النبي (٦٢٢م) :

لما علمت قريش بتأييد جماعة أهل المدينة للرسول ، سرعان ما اتفقت قريش مع القبائل الأخرى بأن ترسل كل قبيلة أحد فتيانها الأقوياء لتحمل القبائل كلها دمه . ولما علم الرسول بذلك أمر جميع المسلمين بمكة ببيع ممتلكاتهم وترك مكة في أقرب وقت إلى المدينة وطلب من صديقه أبو بكر شراء جملين للرحلة وأتى أمر الله بالرحيل ليلاً فأمر ابن عمه علي بن أبي طالب أن ينام على سريريه وأعطاه عبايته وترك المنزل وأخذ حفنة من التراب وألقاها على وجه القتلة فأعماهم الله . وأخذ أبا بكر معه وتبعهما ابنه وابنته مع راعي الغنم لإحضار الطعام والتمويه على الكفار .

ذهلت قريش لفقدائها الرسول في مرقداه وأخذت تقتفي أثره ثم وصلت إلى الغار الذي به الرسول وصاحبه ولكنهم وجدوا يمامة راقدة على بيضها وعنكبوتاً بنسيجه على باب الغار . أمضى الرسول ثلاث ليال في الغار ثم وصل إلى المدينة بعد مسيرة ثمانية أيام ثم لحق به علي بن أبي طالب بعد أن أدبى عن الرسول ما كان للناس عنده من ودائع . ومنذ قدوم الرسول للمدينة في ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م جعل عمر بن الخطاب هذا اليوم بداية للتاريخ الهجري (١) .

(١) د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ١٨٦ .

حكومة الرسول في المدينة (٦٢٢م - ١هـ)

أصبح الرسول قائداً عسكرياً لعدد كبير من المسلمين في المدينة فشرع في تنظيمهم وأول عمل قام به هو بناء مسجده الذي أصبح ملتقى المسلمين يتدارسون فيه أمور دينهم ودنياهم . ثم آخى النبي بين المهاجرين والأنصار لتقوية روابط الوحدة في المجتمع الإسلامي الجديد (١) . ثم اتخذ الحيطه والحذر من اليهود حتى يعيش المسلمون في أمان ، وفي هذا الوقت تزوج الرسول من السيدة عائشة بنت أبي بكر ولم تبلغ العاشرة إكراماً لأبي بكر صديقه الحميم .

غزوة بدر الكبرى (٦٢٣م - ٢هـ)

بعد أن استقر الرسول في المدينة ، وفي خلال شهر رمضان من السنة الثانية أرسل الرسول جماعة من المسلمين لاعتراض قافلة تجارية قادمة من الشام لقريش بقيادة أبي سفيان ثم خرج الرسول ومعه ثلاثمائة رجل من المؤمنين على أبي سفيان وقافلته فأرسل إلى قريش بأن محمداً يقطع الطريق ليأخذ الأموال والإبل فخرجت قريش في ألف مقاتل من رجالها ثم التقى الجيشان وأيده الله بجنود لم يروها ، وانتصر المسلمون بقيادة الرسول وأسروا الكثير من رجالها وبهذه المعركة تم الآتي :

- ١ - أسر عدد كبير من المشركين .
- ٢ - أول صدام بين دولة الكفر ودولة الاسلام .
- ٣ - أصبح للمسلمين مكانة بين القبائل العربية .
- ٤ - أصبح تمسك المسلمين بدينهم قوياً والاستشهاد في سبيله واجباً .

غزوة أحد (٦٢٤م - ٣هـ) :

بعد هزيمة قريش في غزوة بدر ، بدأت تستعد للأخذ بالثأر من المسلمين وخرجت بثلاثة آلاف رجل بقيادة أبي سفيان قاصدين المدينة ، ولما علم الرسول بذلك خرج في ألف من المسلمين حيث عسكر على سفح جبل أحد المواجه للمدينة وجعل الرماة فوق الجبل وأوصاهم بعدم ترك مواقعهم مهما كانت نتيجة المعركة ، والتحم الجيشان وكان

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٩٤ - ٩٧ .

النصر للمسلمين في أول الأمر ، ولكن الرماة تركوا مواقعهم مخالفين أمر الرسول ، فانتهزت قريش الفرصة وهاجمت المسلمين من الخلف فاقتل نظامهم وانتصرت قريش في هذه المعركة على أمل العودة مرة أخرى للقضاء على المسلمين كلياً في المدينة ، واستشهد في هذه الغزوة عم النبي حمزة .

غزوة الأحزاب (الخبندق) (٦٢٦م - ٥هـ) :

بدأت قريش بعد انتصارها الأخير في غزوة أحد في تجهيز الجيوش وعقد المعاهدات مع القبائل للقضاء نهائياً على المسلمين ، ولما علم الرسول بذلك أمر بحفر خندق شمال المدينة لأن باقى جهاتها محصنة بالنخيل والمنازل ، أما من ناحية اليهود فنقضوا الاتفاق مع الرسول فطردهم من المدينة ولجأوا إلى خيبر وأخذوا يحرضون الكفار ضد الرسول من جديد .

وحفر الخندق تم بناء على مشورة أصحابه ورأي سلمان الفارسي واشترك بنفسه في حفر الخندق ، واتصلت قريش بحلفائها من اليهود في ١٠.٠٠٠ رجل حاصروا المدينة قرابة شهر كامل مقابل ٢٠٠٠ رجل من المسلمين ، ولكن الله أرسل ريحاً عاصفة اقتلعت خيام المشركين وهدمت حصونهم وأجبرتهم على رفع الحصار^(١) والعودة إلى مكة خاسرين وبذلك انتصر المسلمون برعاية ربهم وقدرة الرسول الحربية وصبر المسلمين مدة الحصار ، وكان الرسول يفاوض قبيلة غطفان ليصرفهم عن قريش وبعد الانتصار أوقف المفاوضات .

الرسول واليهود :

عند هجرة الرسول عليه السلام إلى المدينة ، عقد محالفة سلام وتعاون مع اليهود وأهم شروطها السلام مع المسلمين ، كما فتح الطريق لمن يرغب منهم في اعتناق الاسلام وهناك ثلاث قبائل من اليهود يسكنون أخصب بقاع المدينة وهم بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ومن أعمالهم كانوا يصرحون بالشك في الدعوة الإسلامية لأن محمداً من سلالة عربية والنبوة لا تظهر إلا فيهم ، وأن الأديان السماوية نزلت في بلاد الشام وليست في بلاد العرب^(٢) .

(١) د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٩٨ .

(٢) د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ص ٢٠٠ .

بنو النضير:

ساعت العلاقة بينهم وبين المسلمين عقب غزوة أحد إذ أن الرسول كان قد أوفد أربعين رجلاً من الأنصار (القراء) لنشر الاسلام في هضبة نجد فقتلوهم جميعاً ما عدا واحداً قتل الرجلين من بني عامر انتقاماً لزملائه ، فغضب النبي وذهب إلى بني النضير ليتفاوض معهم في دفع الجزية ولأنهم حلفاء بني عامر ، ثم اتفق رجالان من بني النضير على إلقاء حجر ضخم فوق الرسول من أعلى أثناء المفاوضة فأخبر الله رسوله بمغادرة المكان فوراً وتبعه أصحابه وبذلك نجا الرسول . ثم بعث الرسول إلى محمد بن مسلمة لاجلاء اليهود عن المدينة وبدأوا يجهزون أمتعتهم ولكن أحد المنافقين (عبد الله بن أبي) منعهم من الرحيل فقائلهم الرسول عشرين ليلة وأحرق نخيلهم حتى تقل عزيمتهم عن القتال وأخيراً أجبرهم على الرحيل من المدينة (١) .

بنو قريظة:

عندما وقعت معركة الخندق رأى الرسول أن بني قريظة نقضوا العهد فعزم على طردهم وحاصره قرابة خمسة وعشرين يوماً ثم طلب الرسول من سعد بن معاذ أن يحكم بينه وبينهم فأمر بقتل رجالهم وعددهم سبعمائة وسبي نساءهم وأطفالهم وقسمت ممتلكاتهم على المسلمين (٢) .

حادثة الإفك:

أثناء عودة الرسول إلى المدينة من غزوة غزاهها ، تخلفت السيدة عائشة لمدة قليلة تبحث عن عقدها (٣) ، ولما عادت كانت القافلة قد رحلت دون أن يشعر الركب بتخلفها وظلت وحيدة حتى وجدها صفوان بن المعطل (٤) وأوصلها إلى منزلها إلا أن حاسدات عائشة وأعداء النبي اختلقوا الإشاعات غير البريئة فتأذى النبي وهجرها إلى أن أوحى الله له ببراعتها بالآية الكريمة : ﴿ إن الذين جاؤا بالافك عصابة منك لا تحسبوه شراً

(١) د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٢٠٣ .

(٢) الطبري : ج ٣ ص ٥٩ .

(٣) د . علي ابراهيم حسن : نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ص ص ٢٢ - ٢٣ .

(٤) ابن هشام ج ٢٨ ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴿ (١) .

جملة خيبر (٦٢٧م - ٧هـ) :

لم يأمن الرسول شر اليهود بعد خروجهم من المدينة ذلم أنهم اجتمعوا في خيبر وقرروا مهاجمة المسلمين في المدينة ، ولما علم الرسول بمقصدهم أمر بمهاجمتهم في عقر دارهم في شمال الجزيرة العربية ، وسقطت حصونهم الواحد تلو الآخر وتم طردهم نهائياً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب .

دعوة الملوك لدخول الإسلام :

انتبه الرسول فرصة الهدنة مع قريش وأخذ في إرسال المبعوثين والرسالات الخطية إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام والابتعاد عن الوثنية وأهمها هي :

١ - رسالة إلى هرقل امبراطور الروم وتقبلها بقبول حسن .

٢ - رسالة إلى كسرى امبراطور الفرس (إيران) ولكن كسرى ثار وأرسل إلى حاكم اليمن الموالي لفارس لقتل محمد ثم أخبرهم الرسول بمقتل كسرى على يد ابنه شرويه ولما عاد الرجلان بخبر كسرى وصدق الرسول وأسلما ومن كان معهما من الفرس ببلاد اليمن .

٣ - رسالة إلى النجاشي ملك الحبشة ، وعاد مبعوث الرسول والمسلمين الذين كانوا بالحبشة وجهزهم بسفينتين وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب .

٤ - رسالة إلى المقوقس عظيم القبط بمصر - وعاد مبعوث الرسول بجاريتين فتزوج الرسول من مارية القبطية وأهدى شقيقتها سيرين إلى شاعره حسان بن ثابت .

وهكذا أخذ الرسول ينشر الإسلام في بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وخارجها .

(١) سورة النور الآية ١١ .

عمرة القضاة (٦٢٧م - ٧هـ) :

بعد مرور عام من صلح الحديبية ، أمر الرسول المسلمين أن يستعدوا لزيارة الكعبة ، فالمهاجرون كانوا يتمنون هذا اليوم بعد سبع سنوات بعيدين عن مكة ، أما الأنصار فكانوا يتمنون أيضاً زيارة الكعبة كما كانت لهم تجارة مع قريش وبلغ عدد المسلمين قرابة الألفين ثم احتاط الرسول وجّه مائة فارس ، ولما علمت قريش احتاطت لنفسها وعسكرت فوق التلال المحيطة بمكة ، ثم اتجه المسلمون إلى مكة وطاف بهم الرسول حول الكعبة وأقام ثلاثة أيام زار فيها المهاجرون ديارهم وذويهم ، وتزوج الرسول السيدة ميمونة ، وهي شقيقة زوجة العباس ، وقد أسلم بعد هذا الحادث مباشرة خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم ممن بهرت أنظارهم قوة الإسلام والمسلمين .

غزوة مؤتة (٦٢٨م - ٨هـ) :

رجع الرسول إلى المدينة وقام بإرسال بعض القوات الصغيرة لنشر الإسلام وأمر الرسول بإرسال ثلاثة آلاف من المسلمين إلى بلدة مؤتة عند مشارف الشام ولما علم الروم بذلك أرسلوا جيشاً بلغ عدده حوالي مائتي ألف جندي واستشهد عدد كبير من المسلمين ثم تمكن خالد بن الوليد بمهارته بانسحاب المسلمين حتى رجع إلى المدينة .

غزوة مكة (٦٣٠م - ٨هـ) :

نقض كفار مكة صلح الحديبية بإغارتهم على قبيلة خزاعة الموالية للمسلمين فاستجدت بالرسول . فخرج إلى مكة بعشرة آلاف من المسلمين وتمكن من دخولها دون قتال ثم خطب في كفار قريش قائلاً : « إن من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن ما تظنون أنني فاعل بكم ؟ » قالوا : « خيراً أخ كريم وابن أخ كريم » . فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثم طاف حول الكعبة وحطم الأصنام . وقد كان لهذا الفتح أثر كبير في انتشار الإسلام ، فإن استيلاء المسلمين على الكعبة بعد اتجاه القبلة نحوها جذب كثير من القبائل العربية إلى الإسلام ثم أخضع الرسول ما تبقى من نصارى نجران وعمان ولم يأت عام ١٠هـ إلا وكانت الجزيرة العربية تدين بالإسلام .

غزوة حنين (٦٣٠م - ٨هـ) :

علم الرسول باستعداد قبيلتي ثقيف وهوزان لمحاربتة وعلى رأسهم مالك بن عوف الذي حشد ماله ونساءه وأطفاله خلف الجند ليمنعهم من الفرار ونزل عند وادي حنين . فخرج الرسول على رأس اثني عشر ألف من المسلمين ، وما كان ينبعث ضوء الفجر حتى فاجأ الكفار المسلمين فاختل نظامهم ونادى عليهم الرسول بالالتفاف حوله وخرج الكفار من مكانهم واستبسّل المسلمون في القتال ثم تقهقر الكفار وانتصر المسلمون أخيراً .

ثم ذهب الرسول إلى الطائف ودعا قبيلة ثقيف إلى الإسلام ولكنها وقفت أمامه ، فهدها بمواصلة الحصار - ثم حل شهر ذي القعدة فرجع الرسول عنها حتى تنتهي الأشهر الحرم .

وبعدها حضرت وفود قبيلتي ثقيف وهوزان مسلمين للرسول ثم أخلى الرسول لهوزان أسراها .

غزوة تبوك (٦٣١م - ٩هـ) :

اجتمعت على حدود فلسطين قبائل عديدة من الروم لقتال المسلمين فخرج إليهم الرسول بجيش كبير حتى أدرك تبوك على حدود الشام وأقام بها فصالحه أهلها ثم جاءت وفود القبائل مسلمة ، ثم أرسل خالد بن الوليد إلى دومة الجندل ففتحها ، ثم عاد الرسول إلى المدينة . وتعد هذه الغزوة آخر غزوات الرسول .

عام الوفود (٦٣١م - ٩هـ) :

في هذا العام وفدت إلى المدينة وفود كثيرة من أنحاء الجزيرة تعلن إسلامها أمام الرسول حتى نزلت الآية الكريمة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ (١) .

حجة الوداع (٦٣٢م - ١٠هـ) :

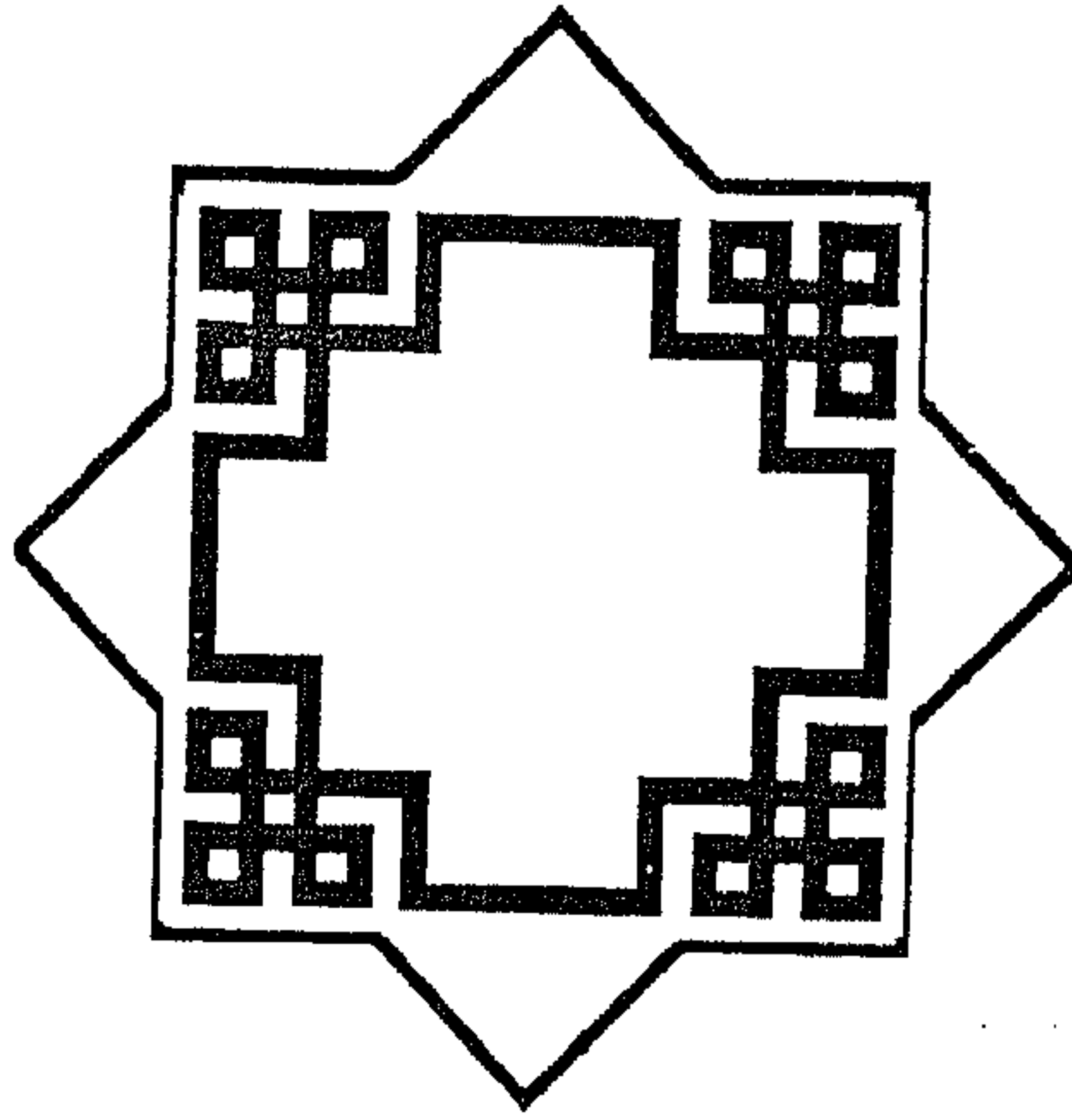
خرج الرسول مع أكثر من مائة ألف من المسلمين ، وعند جبل عرفات ألقى الرسول خطبته الخالدة التي تعتبر دستوراً للدولة الإسلامية الجديدة منادياً بالمساواة بين البشر

(١) سورة النصر : الآيات من ١ - ٣ .

مبينًا قواعد الإسلام ، وقال : يا أيها الناس ... اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ... إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لأدم وأدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد .

وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام (٦٣٣م - ١١هـ) :

لم يمض على حجة الوداع سوى ثلاثة أشهر حتى مرض الرسول بالحمى مدة قصيرة انتقل بعدها إلى جوار ربه وكانت وفاته يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول بعد إحدى عشرة سنة من استقراره بالمدينة المنورة وهو في الثالثة والستين من عمره ، ودفن مسجده بالمدينة المنورة (١) .



(١) د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ص ٢١٤ .

الباب الثاني

- غزوة أحد

- النبي ﷺ وحكمة تعهد زوجته

- التعهد في الشريعة الإسلامية

غزوة أحد:

ينبغي الإشارة إلى أن غزوة أحد على اعتبار أنها السبب الرئيسي وراء تعدد زوجات النبي - وهو لاستشهاد عدد كبير من جيش المسلمين في هذه الغزوة تاركين وراءهم كثير من الأرمال والأطفال .

وقد نزلت سورة النساء في الشهور التالية لغزوة أحد أي في العام الرابع الهجري بالمدينة ، بهدف إعطاء المرأة حقوقها الانسانية التي كانت محرومة منها أيام الجاهلية ، ونظم حياتها الاجتماعية .

وجدير بالذكر أن سورة الأحزاب التي تنظم علاقة النبي بزوجاته نزلت على فترات من نهاية العام الخامس إلى نهاية العام السابع الهجري .

وسبب الغزوة أن قريشا أرادت الانتقام من المسلمين لهزيمتهم في غزوة بدر في العام الثاني للهجرة . ففي العام الثالث الهجري أعدت قريش جيشاً مكوناً من ٢٠٠٠ رجل بقيادة أبي سفيان جاءوا من مكة إلى المدينة . ولما علم النبي بقدمهم وضع النبي خطة للدفاع عن المدينة وخرج بجيش قوامه ١٠٠٠ رجل عند جبل «أحد» ثم أمر النبي خمسين من الرماة لاحتلال بعض المواقع على سفح الجبل لحراسة ممر جبلي ضد قوافل المشركين ، وفي ذلك لم يتوقع المسلمون حدوث المعركة وكانت معنوياتهم مرتفعة جداً لانتصارهم قبل ذلك في غزوة بدر . المهم بدأت المعركة والتحم الجيشان وكان النصر في أول الأمر في جانب المسلمين . ولكن سرعان ما تحولت المعركة إلى هزيمة منكرة بسبب مخالفة الفرقة المكونة من خمسين من الرماة أوامر النبي بعدم ترك مواقعها طمعاً في غنائم المشركين وخسارتهم في أول المعركة وخوف هذه الفرقة من أن يفقدوا نصيبهم من هذه الغنائم فتركوا مواقعهم .

وفي الحال أدركت قوافل العدو هذا الفراغ وهاجموا المسلمين وأنزلوا بهم خسارة كبيرة في الأرواح والمعدات حتى أن النبي نفسه جرح في هذه المعركة . وفجأة ارتفعت صيحة عالية بأن النبي قتل وأدرك النبي الموقف فصاح بأعلى صوته بأنه حي وارتفعت معنويات المسلمين وواصلوا القتال ضد المشركين الذين كانت تساعدهم زوجات قادة الجيش .

وفي نهاية هذا اليوم تجمع المسلمون عند رسول الله ﷺ تاركين وراءهم الشهداء على سفح الجبل . ثم أعطاهم النبي درساً في عدم مخالفة الأوامر . وفي هذه الغزوة قتل حمزة عن النبي ومثل به .

وفي اليوم التالي خرج النبي مع الباقيين على قيد الحياة لكي تسمع وترى قريش أنه مازال في ميدان المعركة ولكي يمنعهم أيضاً من أية خطة يهاجموا بها المدينة مقر دولته الجديدة وربما يأتي له مدد جديد من المدينة - فالنصر من عند الله .

ويحكى أن بدوياً قابل جيش المسلمين وتحادث معهم ثم بعد ذلك قابل جيش المشركين وتحادث معهم أيضاً مع أبي سفيان قائد الجيش . وذكر له الرجل البدوي « بأن محمداً في ميدان المعركة » أقوى من الأول ومستعد للانتقام من قريش لهزيمته أمس ، وسوف يأتي له المدد من المدينة ، وبناء على هذه المعلومة قرر أبو سفيان الانسحاب بالجيش إلى مكة .

النبي ﷺ وحكمة تعدد زوجاته :

كثير من الناس وخاصة المسيحيون واليهود والمسلمون المؤمنون الجدد ، أو المعاصرون منهم كانوا وما يزالون شغوفين لمعرفة حكمة التعدد بالنسبة للنبي ﷺ من مصادرها العربية وأيضاً الشباب المسلم في أيامنا هذه ما زال مشتاقاً لمعرفة الحقيقة ، وهي في النقاط الآتية :

١ - عاش النبي حتى سن الخامسة والعشرين عزباً طاهراً نقياً حتى لقبوه بالأمين ، وعاش خمسة وعشرين سنة أخرى مكتفياً بزوجة واحدة هي السيدة خديجة التي تكبره بخمس عشرة سنة . مع أن النبي كان شاباً نشيطاً وجذاباً وقوياً وجميلاً بينما شباب العرب كان لكل واحد منهم من عشرة إلى عشرين زوجة على الأقل .

٢ - عاش النبي مع السيدة خديجة لمدة خمس وعشرين سنة وبعد وفاتها (ثلاث سنوات قبل الهجرة) تزوج من السيدة سودة بنت زمعة وانفردت به ثلاث سنوات وكان عمرها آنذاك خمسين سنة وهو أيضاً في سن الخمسين تقريباً - فلو كان شهوانياً ما قضى سني شبابه مع عجوزين ولم يجمع عليهما .

٣ - يبين لنا تاريخ الأنبياء أن التعدد شمل أنبياء مثل داود كانت له تسع وتسعون زوجة^(١) وكان لسليمان بن داود عليهما السلام سبع مائة من النساء وثلاث مائة من السراري^(٢) .

٤ - المشكلة هي : لماذا تزوج النبي محمد هذا العدد من النساء ؟ ...

- الإجابة لبعض الأسباب هي :

أ - إعداد كوادر جديدة من الدعاة عن طريق المصاهرة لنشر الدعوة الإسلامية بين مشركي مكة (العاصمة الروحية منذ القدم للعرب وحتى الآن على المدى الواسع في شبه الجزيرة العربية) .

ب - الزواج بالمصاهرة إحدى طرق نشر الدين الجديد بين القبائل والناس في جميع أنحاء العالم . ولا شك أن كل قبيلة كانت تكرم زوج الابنة . ولهذا فإن معظم القبائل العربية أمنت بالإسلام .

ج - بالزواج أنقذ النبي أزواج بعض الزوجات من انتقام وتعذيب العائلة إن عاجلاً أو آجلاً ...

د - وزوجات أخرى كافأهن النبي لتمسكهن بالإسلام .

هـ - جعل النبي كل زوجة من زوجاته داعية للإسلام ، عاملة بتعاليم الإسلام في حياتها اليومية مبينة الأحكام الشرعية وغير الشرعية وتجب على رواد السائلات .

٥ - إن حياة النبي الزوجية لا تسير حسب رغبته كسائر البشر ، إنما كان بوحي من الله .

٦ - ما هو العقل الحكيم لزواج لديه هذا العدد من الزوجات في بيت واحد أو أكثر مثل النبي ﷺ وخاصة وأنهن مختلفات في العنصر واللون ومكان الميلاد والعقيدة والأعمار وشخصياتهن .

٧ - إن التاريخ الإسلامي مدين إلى زوجات النبي لأنهن كن في صحبته في جميع غزواته حيثما يذهب إرضاء لانسانيته مجددين نشاطه لكي يتحمل الأعباء الثقيلة .

(١) القرآن الكريم : سورة ص الآيات ٢١ - ٢٦ .

(٢) د . أحمد غلواش ، عقيدة الإسلام ج ١ ص ٩١ .

٨ - وطبقاً لهذه الإيضاحات يصبح زواج النبي واضح المعنى في المجالات السياسية والاجتماعية والتشريعية والعسكرية .

وبالاختصار أستطيع أن أقول إن تعدد زوجات النبي كان بوحي من الله تعالى بناء على الآيات القرآنية التالية :

الأحزاب ٣٧ - ﴿ ... فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ (الآية) .

الأحزاب ٥٠ - ﴿ يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن .. ﴾ (الآية) .

الأحزاب ٥٢ - ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾

التحريم ١ - ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ .

التحريم ٥ - ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً ﴾ .

ويروى عنه عليه السلام أنه قال ما زوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي جاغي به جبريل عن ربي عز وجل (١) .

ومما هو جدير بالذكر أن الحياة داخل بيت النبي يحكمها المنهج القرآني - فلهن حقوق وعليهن واجبات وسلوك يجب أن يتبعه ولهن الثواب وإن خالفنه فعليهن العقاب كما جاء بالآيات التالية :

(١) الواجبات : الأحزاب ٣٣ - ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وأتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ .

الأحزاب ٣٤ - ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله (القرآن) والحكمة (السنة) إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ .

(١) سعيد هارون عاشور : فقه سيرة نساء النبي ص ١٨٤ .

- (٢) السلوك : الأحزاب ٣٢ - ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾ .
- الأحزاب ٥٩ - ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .
- (٣) الثواب والعقاب : الأحزاب ٢٨ - ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً ﴾ .
- الأحزاب ٢٩ - ﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ .
- الأحزاب ٣٠ - ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ .
- الأحزاب ٣١ - ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً ﴾ .

التحريم في الشريعة الإسلامية :

كان العرب في الجاهلية ، بدواً وحضراً ، يمنحون المرأة حرية محدودة لأنها عضو نافع في الحياة البدوية . وكان عليها إحضار الماء ورعي الأغنام وعمل الطعام من حليب اللبن . ولكن الحياة البدوية جعلت الآباء يحتاجون إلى البنين وليس إلى البنات لأن البنين هم جنود القبيلة ومدافعوها ، وفي الوقت نفسه هم الغزاة الذين يقومون بالفارات ضد القبائل المعادية .

وإذا ولدت الزوجة العربية أنثى فمعنى ذلك أنها أتت بالعار الكبير ، ولهذا فالزوج يحاول أن يتجنب الناس في المقابلة أو أي شيء آخر . وبعض الآباء يدفنون أطفالهم البنات أحياء ليزيلوا العار . وأحياناً من الفقر ، وأشار القرآن الكريم بذلك في الآيات التالية :

النحل ٥٨ ، ٥٩ - ﴿ وإذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ .

وقبل بعثة النبي ، لم تكن للمرأة مكانة ولا حقوق شرعية ليس في أرض العرب فقط بل في غيرها أيضاً منذ فجر الحضارة الإنسانية . ولكن الشريعة الإسلامية العادلة أعطت المرأة كل حقوقها وجعلتها على قدم المساواة مع الرجل في كل شيء ما عدا حق القوامة والانفاق كما في الآيات القرآنية الآتية :

النساء ٣٤ - ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ... ﴾ (الآية) .

البقرة ٢٢٨ - ﴿ ... ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ﴾ (الآية) .

واهتمت الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً بالمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات طبقاً لقانون الحياة . ونجد أن الكتب السماوية مثل التوراة والانجيل لم تحرم تعدد الزوجات ، بالعكس فإن التوراة والانجيل سمحا بالتعدد ، وأخذوا عن أنبيائهم أنفسهم من عصر ابراهيم حتى عصر المسيح عليهما السلام ، وليس هناك نص في الانجيل يحرم ما سمحت به التوراة للأولين أو الأنبياء أو عامة الناس كممارسة التعدد في جميع الحالات ما عدا حالة واحدة هي للقس الذي لا يتحمل حياة الأديرة فيستطيع أن يتزوج بواحدة (١) .

يقول الكاهن أوجستين : يستطيع أي رجل أن يتخذ خلية بجانب زوجته إذا كانت عاقراً وتطبق نفس القاعدة على الزوج إذا كان عاقراً أيضاً وفي هذا الوقت اعترفت الكنيسة بأولاد شرلمان من زوجات عديدات .

وذكر ويستمارك عالم الاجتماع الانجليزي حينذاك أن الكنيسة اعترفت بالتعدد حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وقد كررت ذلك في أوقات كثيرة وفي مناسبات عديدة لكل من الدولة والكنيسة .

والانجيل لم يأت لينقض ما جاء في التوراة بل جاء ليكمله - وهكذا ظل التعدد قائماً بين المسيحيين حتى حرمة مجمع نيقية عام ٣٢٥ م والذي صاغ قراراته الأنبا ألكسندروس بابا الاسكندرية حينذاك (٢) .

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٣٣ وبعدها .

(٢) سعيد هارون عاشور : فقه نساء النبي ص ١٨٦ .

فالإسلام لم يخلق أو يبتكر التعدد . هل قدم الإسلام بدعة أو شيئاً غير مأكوف ؟
الإجابة بالنفي قطعاً ، الإسلام يسمح بتعدد الزوجات للضرورة الملحة على أساس العدل
بين حالات التعدد .

وفي الإسلام الزوج لا يستطيع أن يعدل بين زوجتين أو أكثر حتى لو كان حريصاً
جداً بناء على الآية التالية :

النساء ١٢٩ - ﴿ وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ... ﴾ (الآية) .
إذ أن شروط الزواج هي القدرة الكاملة للانفاق على الحياة الزوجية بالتساوي مع السكن
والمعيشة بين الزوجات طبقاً للآية التالية :

الطلاق ٦ - ﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن .. ﴾ (الآية) .

ينبغي على الزوج أن يكون عطوفاً رحيماً على زوجته سواء منفصلاً أو مطلقاً دون
عودة كما في الآية التالية :

البقرة ٢٢٩ - ﴿ الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم
أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ... ﴾ (الآية) .
ولهذا ينبغي على المطلق أن يعامل مطلقته بالمعروف أو الفراق بالمعروف أو المعاشرة
بالمعروف .

الأحزاب ٤٩ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن
تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتونها فمتعهن وسرحوهن سراهاً جميلاً ﴾ .

كما أن العادات الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في ممارسة التعدد ، فالتقاليد تقف أمام
رغبات الطبقات الغنية بعكس الطبقة الفقيرة .

فالطبقة الغنية قادرة على الانفاق في حالة التعدد ، ولكن الرجل الثري لا يقبل على
ابنته أن تعيش مع ضررتها تحت سقف واحد ، والمرأة الثرية تطالب بنفقات عالية لنفسها
ولأطفالها لتجبر زوجها على أن يغير رأيه من التعدد ، بعكس الطبقة الفقيرة فإن المرأة
تقبل الحياة مع ضررتها وتكون نصف زوجة .

وفي استقراء تاريخ الأمم نجد الامبراطورية الرومانية (إيطاليا) التي تسمى أم القوانين كانت المرأة عبدة فيها ، وفي الهند عقيدة البراهمية غالباً ما تحرق الزوجة نفسها على قبر زوجها .

والحالات الطبيعية لإثبات ضرورة التعدد وهي كثيرة منها :

إن نظام الزواج الاسلامي يتمشى مع الاحتياجات الفعلية واحتياجات الناس ، الاسلام لم يشجع التعدد ويؤيد الزواج بواحدة حيث لا يوجد معوقات تقف في الطريق ، الزواج بواحدة هي قاعدة عامة ولكن التعدد هو للحالات الطارئة أي إنها حالات استثنائية لو يستطيع المسلم أن يقتنع بزوجة واحدة . فالإسلام لا يجبره على التعدد .

والاسلام ببساطة يسمح بالتعدد إذا كان الزوج لا يستطيع أن يعيش في سعادة مع زوجة واحدة . وفي الحقيقة إن القرآن الكريم يشجع الزواج بواحدة هو خير وعدل كما في الآية التالية :

النساء ٣ - ﴿ ... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا ﴾ (الآية) .

الاسلام جاء إلى جميع الناس والأمم في جميع أنحاء الأرض فيقابل جميع احتياجات الانسان الروحية والمادية في كل زمان ومكان ، وقد وضع القانون له إطاراً يتدرج فيه ليكون أكثر فاعلية إذا لزم التعدد ، فالشريعة الاسلامية لا تشجع التعدد ما عدا الحالات التالية :

١ - لدينا مثال حديث وحقيقي مثل الحروب الحالية في كل مكان على وجه الأرض سواء كانت الغزو العسكري أو بالصراعات السياسية التي تؤدي إلى نقص عدد الذكور تاركة وراءها آلاف الإناث بدون عائل أو معين ، الحل هو الزواج . ويستطيع بأمان أن ينقذ الموقف ، ونستطيع أن نقول إن التعدد أحياناً يصبح ضرورة قومية^(١) .

٢ - هناك حالات فردية أخرى مثل مرض الزوجة الشديد ولمدة طويلة . ماذا يفعل الزوج ؟ الحل معروف للجميع وهو الزواج .

(١) د . أحمد غلواش ، عقيدة الإسلام ج ١ ص ص ١١٦ - ١٢٣ .

ولهذا السبب فإن الزواج ينقذ آلاف وآلاف الأزواج بدلاً من الخزي والعار الذي يلحق بالبنين والبنات غير الشرعيين «ابن أو بنت زنا» وإعطائهم حقوقاً شرعية مثل الحقوق التي تورث إلى هؤلاء الذين أعطوهم أجسادهم من خلية أو صديقة .

إن عادة بعض المجتمعات العربية أن تزوج أرملة الزوج المتوفي إلى أخيه بجانب زوجته ويصبح زوج الاثنتين لكي يستطيع الزوج الحي تربية أطفالها إذا كان لديها ، وفي أغلب الأحوال فإن المرأة المسلمة سوف لا تضطر للتزوج من رجل زوج لأخرى .

ومن المستحيل أن الزوج يتعامل بعدل مع أكثر من زوجة والنبي الكريم ﷺ خير مثال أمامنا في الصفحات التالية ، وكان له اثنتا عشرة زوجة ولكن كيف اتبع معهن سلوك الحب والعدل ؟

وبالاختصار يمكن أن أقول إن التعدد نوع من القانون العلاجي في الإسلام الذي يستخدمه الرجل عند القدرات المالية والضرورات الحتمية .

كلمة أخيرة فالزواج بواحدة هو القاعدة والتعدد هو الاستثناء في الإسلام .

لهذا أسفت كثيراً للهجوم العنيف من الخصوم والنقاد على النبي وعلى زوجاته الطاهرات وحكمة تعددهن . ولو كانوا هؤلاء الخصوم درسوا اللغة العربية وأدائها جيداً لقالوا الحقيقة عن سيرة النبي وأيضاً لو كانوا قرأوا التاريخ الإسلامي من المصادر العربية لصدقوا بما قدم النبي لأزواجه .

كلمة أخيرة ..

إلى المهاجمين على النبي بشأن تعدد الزوجات .. فالنبي لم يتزوج وإنما زوج من الله تعالى .. وعلى ذلك ينبغي تصعيد الخلاف إلى الله وليس النبي كما قال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعرواي .

الباب الثالث

دراسة في زوجات النبي ﷺ

المؤمنات (رضي الله عنهن)

قائمة بالزوجات المؤمنات (رضي الله عنهن)

- ١ - خديجة بنت خويلد
 - ٢ - سودة بنت زمعة
 - ٣ - عائشة بنت أبي بكر
 - ٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب
 - ٥ - زينب بنت خزيمة
 - ٦ - أم سلمة هند بنت أبي أمية
 - ٧ - زينب بنت جحش الأسدية
- أراء اثنين من المستشرقين والردود المنطقية على هذا الزواج
- ٨ - جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار
 - ٩ - صفية بنت حي بن أخطب
 - ١٠ - أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان
 - ١١ - مارية بنت شمعون القبطية
 - ١٢ - ميمونة بنت الحارث الهلالية

خديجة بنت خويلد : (رضي الله عنها) :

هي أم المؤمنين وزوجة خاتم المرسلين وكانوا في الجاهلية (قبل الاسلام) يلقبونها بـ«الطاهرة» ، فأمنت بالرسول إذ كفر به الناس ، وصدقته إذ كذبه الناس ، وأسته بمالها يوم حرمه الناس .

عاشت مع الرسول ﷺ خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشراً بعدها فكانت خير مثال للمرأة الكاملة ، تزوجها الرسول ﷺ في أول شبابه وهو ابن خمس وعشرون سنة وهي بنت أربعين سنة ، وكان صداقها عشرين ناقة شابة .

كان للسيدة خديجة ابن عم يسمى خزيمة ، لمس في النبي نشاطاً وأمانة في مناسبات عديدة ، فعرض على السيدة خديجة الاستعانة به في أعمالها التجارية فقبلت وأرسلت معه خادمها يقال له ميسرة في تجارة إلى الشام ثم عاد إلى مكة . وأخبرها ميسرة بأمانته وطهارته وما رآه ميسرة من البركة في كثرة الأرباح وسهولة الأمور وما قاله أهل الكتاب عنه .

بعثت السيدة خديجة إلى رسول الله ﷺ من يعرض عليه أن يتزوجها يقال لها نفيسة بنت أمية التميمية وتسأله :

- يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟

- ما بيدي ما أتزوج به .

- فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب ؟ فمن هي ؟ خديجة ، بلى وأنا أفعل ...

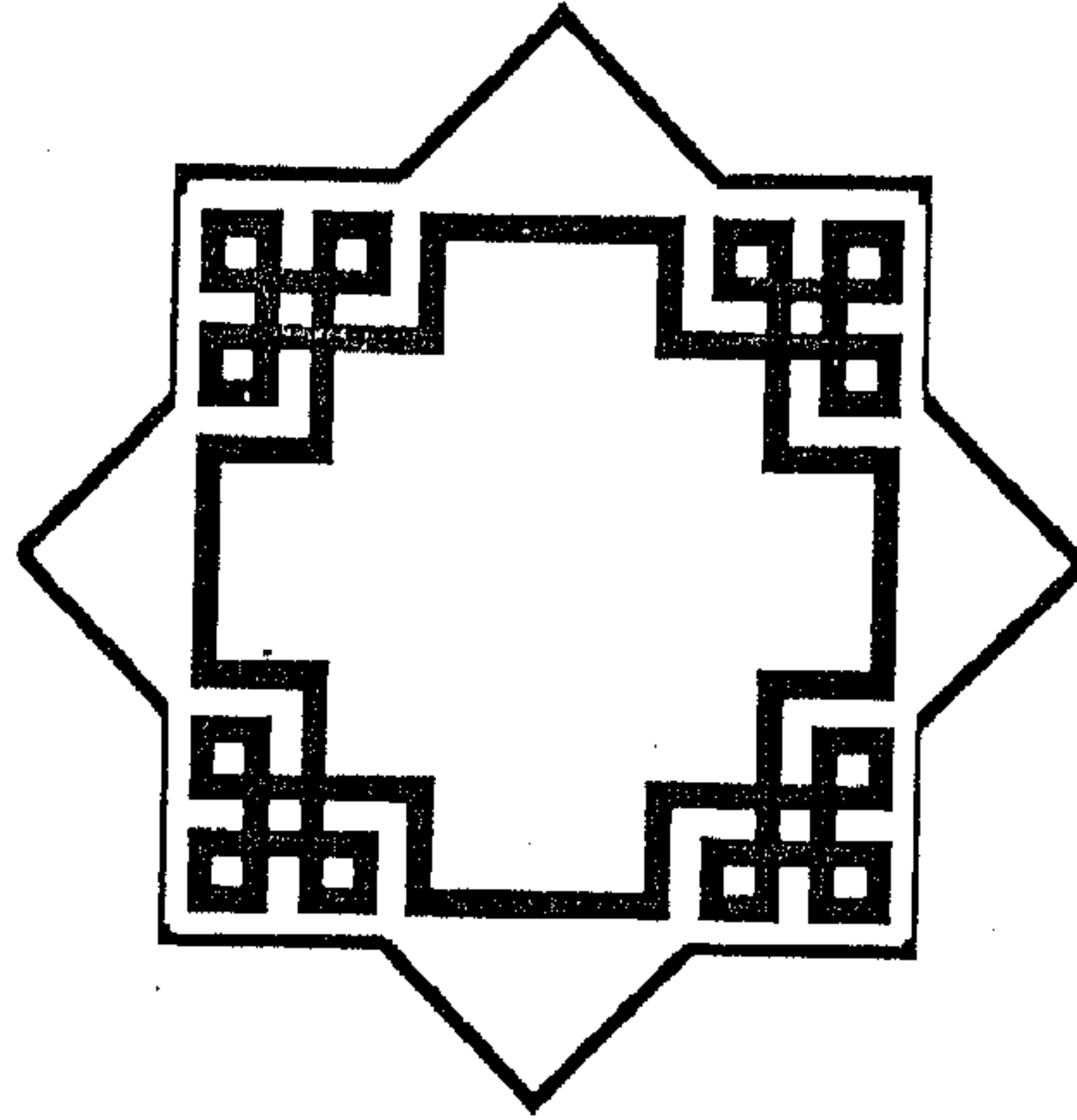
وبعد هذا الحوار تعود السيدة نفيسة وتخبر السيدة خديجة فترسل إلى النبي ﷺ بموافقتها على الزواج منه ، ويذهب النبي ﷺ إلى السيدة خديجة خاطباً وتقول له : «إني قد رغبت فيك لقربتك ووسطتك في قومك ، وحسن جمالك وصدق حديثك» .

وحدث النبي ﷺ أعمامه في الأمر ، فأجابوه إلى ما طلب وخرج معه أبو طالب وحمزة إلى بيتها فكان في استقبالهم عمها عمرو بن أسد .

وكان من عادة الرسول ﷺ الصعود إلى غار حراء للتأمل في ملكوت السماوات والأرض حتى جاء يوم ونزل جبريل عليه السلام برسالة الاسلام ثم يعود بعدها إلى زوجته السيدة خديجة ويخبرها بالأمر فتشجعه على الاستمرار في الامتثال لأوامر الله وطاعته .

ولدت السيدة خديجة للنبي ﷺ غلامين هما القاسم وعبد الله وأربع بنات هن : زينب ، رقية ، أم كلثوم ، فاطمة الزهراء .

توفيت السيدة خديجة بمكة قبل الهجرة النبوية بثلاث سنوات وقد بلغت من العمر خمسة وستين عاماً .



سورة بنت زمعة (رضي الله عنها) :

بعد أن انتقلت السيدة خديجة إلى جوار ربها تزوج النبي ﷺ بالسيدة سودة بنت زمعة - أرملة السكران بن عمرو ، وهي في عمر الخامسة والخمسين سنة ، وهي أيضاً من المؤمنات المهاجرات في سبيل العقيدة الإسلامية وقد تحملت في سبيل الإسلام المشقات والمصاعب والمتاعب فهاجرت هي وزوجها إلى اثيوبيا فأغضبت أهلها وعشيرتها بهذه الهجرة وهم أشداء أقوياء .

ولما عادت من هجرتها من اثيوبيا ، توفي زوجها إلى رحمة الله وتركها وحيدة في مكة من غير ناصر ولا عائل ولا معين . ولو عادت إلى أهلها بعد موت زوجها لعذبوها وفتنوها في دينها وربما قتلوها .

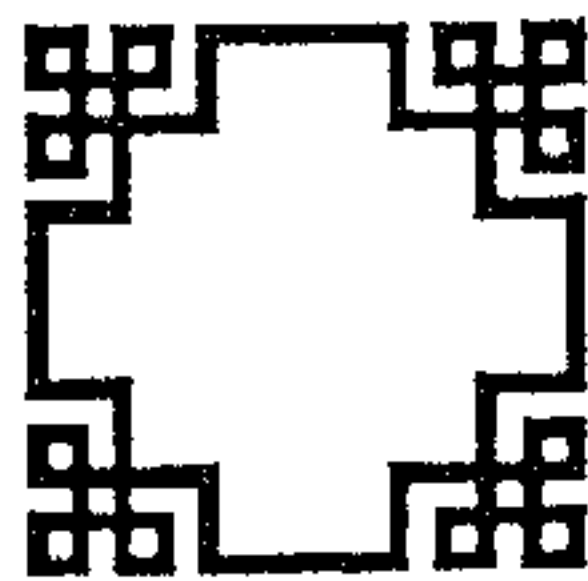
ولما علم الرسول ﷺ بأمرها وعلم بحالها واستمساكها بإسلامها خشي عليها من بطش أهلها ، فكفلها ﷺ وأرسل إليها يخطبها لنفسه لسببين هما :

أ - ليعوضها عن فقدان زوجها المؤمن واستمساكها بإسلامها وتكريماً لها .

ب - ليتألف بهذا الزواج مع قومها بني عبد شمس أعداء رسول الله ﷺ وأعداء بني هاشم . فقد قابل الناس هذه الالتفاتة من الرسول ﷺ بالاعجاب والثناء ، وخفف قومها من عداوتهم للرسول ومخاصمته .

وقد أسلم معظم الناس من قبيلة عبد شمس ودخلوا في دين الله أفواجاً إعجاباً بخلق الرسول الكريم . ومكثت سودة رضي الله عنها مع النبي ﷺ زهاء خمس سنوات لا تنازعها زوجة أخرى إلى أن تزوج من السيدة عائشة رضي الله عنها .

وأخيراً نتساءل هل كان لرسول الله من المآرب الشهوانية في زواجها وهي أرملة مسنة وهناك الفتيات البكارى العذارى المؤمنات من بنات قريش ؟



عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها) :

بعد وفاة سودة بنت زمعة زوجة الرسول ﷺ وكان أيضاً لوفاء أبي طالب ، عم الرسول ، وزوجه خديجة بنت خويلد أثر كبير في نفس الرسول . وقد توفيا في وقت كان الرسول فيه أشد ما يكون احتياجاً إليهما ، فقد كانا يدافعان عنه يوماً ويتقاسمان معه الصراع مع المشركين . وقد أضعف موتها موقفه في مكة ، فبات يتطلع كل يوم إلى رب السماء ينتظر الاهتداء لتثبيت مركزه وتدعيم دعوته ودينه .

وأخيراً ، هداه الله إلى الاتصال بقريش اتصال مصاهرة ونسب ، فاختار من قریش أبا بكر الصديق رضي الله عنه . ومن من الناس يجهل مكانة أبي بكر الرفيعة بين قومه ؟ وقد كان فيهم صدراً عزيزاً شريفاً غنياً براً قوياً عادلاً .

كان اسلام أبي بكر من أول دلائل نجاح الدعوة الاسلامية وقد ألقى الله حب أبي بكر في قلب الرسول ﷺ فأحبه الرسول حباً جماً وابنته عائشة .

ولثقة النبي ﷺ بأبي بكر فقد استصحبه معه في الغار في اليوم الفاصل بين الكفر والإيمان والشرك والاسلام . في يوم الهجرة النبوية وقد نزل قوله تعالى في سورة التوبة الآية ٤ ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ... ﴾ (الآية) .

ثم أراد النبي ﷺ أن يوثق عرى المحبة العظيمة والصحبة الكريمة برباط المصاهرة الوثيق ، فتزوج من ابنة أبي بكر الصديق وأكرم بهذا الزواج صاحبه الوفي الأمين الذي صدقه يوم كذبه الناس وأمن به يوم كفر به الناس وبادر أبو بكر بالموافقة عليه . فكان هذا الزواج مدعاة لتنافس القبائل والعشائر والتسابق إلى الإسلام ونبي الإسلام .

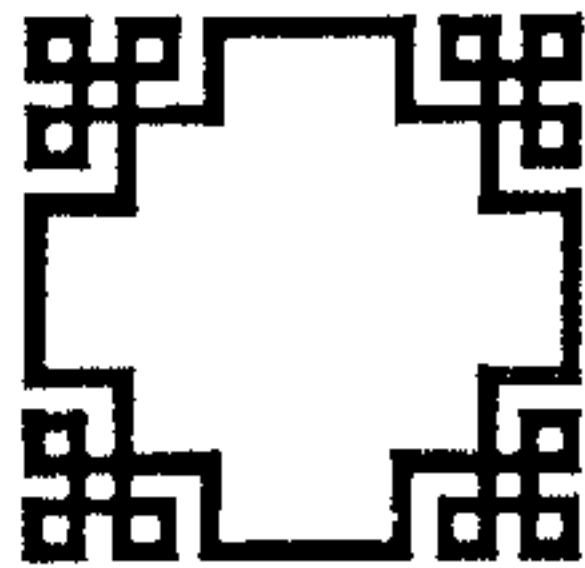
وعرف عن عائشة ذكاؤها وفطنتها ونبوغها وعبقريتها وعلمها وفقها وسمو خلقها - دخل بها الرسول ﷺ في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة وهي البكر العذراء الوحيدة من بين جميع نساءه اللاتي دخل بهن عليه الصلاة والسلام . وكانت رضي الله عنها أحب أزواجه إليه وأعلمهن بسنته وهي أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن لحديث سيد المرسلين .

ومات الرسول ﷺ ودفن في حجرتها في مكان المسجد الحالي للرسول ﷺ بالمدينة المنورة .

أما حديث الافك (الكذب) قالت السيدة عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أجرى القرعة بين نساءه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فخرج سهمي ، فخرجت معه في غزوة بني المصطلق وبعد الغزوة أمر الرسول ﷺ بالعودة فتركت الجيش لأقضي حاجتي واقبلت إلى قافلتي فإذا عقد لي من خرز قد إنقطع وخرجت أبحت عنه واقبل حاملو الهدج (محمل له قبة تستر بالثياب تركب فيه النساء) فرفعوه على الجمل وهو يحسبون أنني فيه وسارت القافلة وراء الجيش ثم لزمتم مكاني وكان صفوان بن المعطل (١) السلمي من وراء الجيش فرأني والله ما كلمني كلمة وأنا في الجمل وركبته حتى لحقنا بالجيش وكان الوقت ظهراً .. فتكلم في حق عائشة وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول (كان يحقد على النبي لأنه أضاع عليه ملك يثرب عندما بدأ النبي مهاجراً لها وانتشرت الشائعة بين الناس) .

وعندما علم رسول الله ﷺ غضب من عائشة ثم برأها الله في سورة النور الآية ١١ : ﴿ إن الذين جاءوا بالافك عصبية منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

ثم عادت إلى بيت رسول الله ﷺ بعد شهر قضته في بيت أبيها تبكي ليلاً ونهاراً حتى برأها الله من قول المكذبين والمنافقين ، ورضي الرسول ﷺ عنها .



(١) د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ١٩٧ .

د . علي ابراهيم حسن : نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ص ص ٣٢ - ٣٣ .

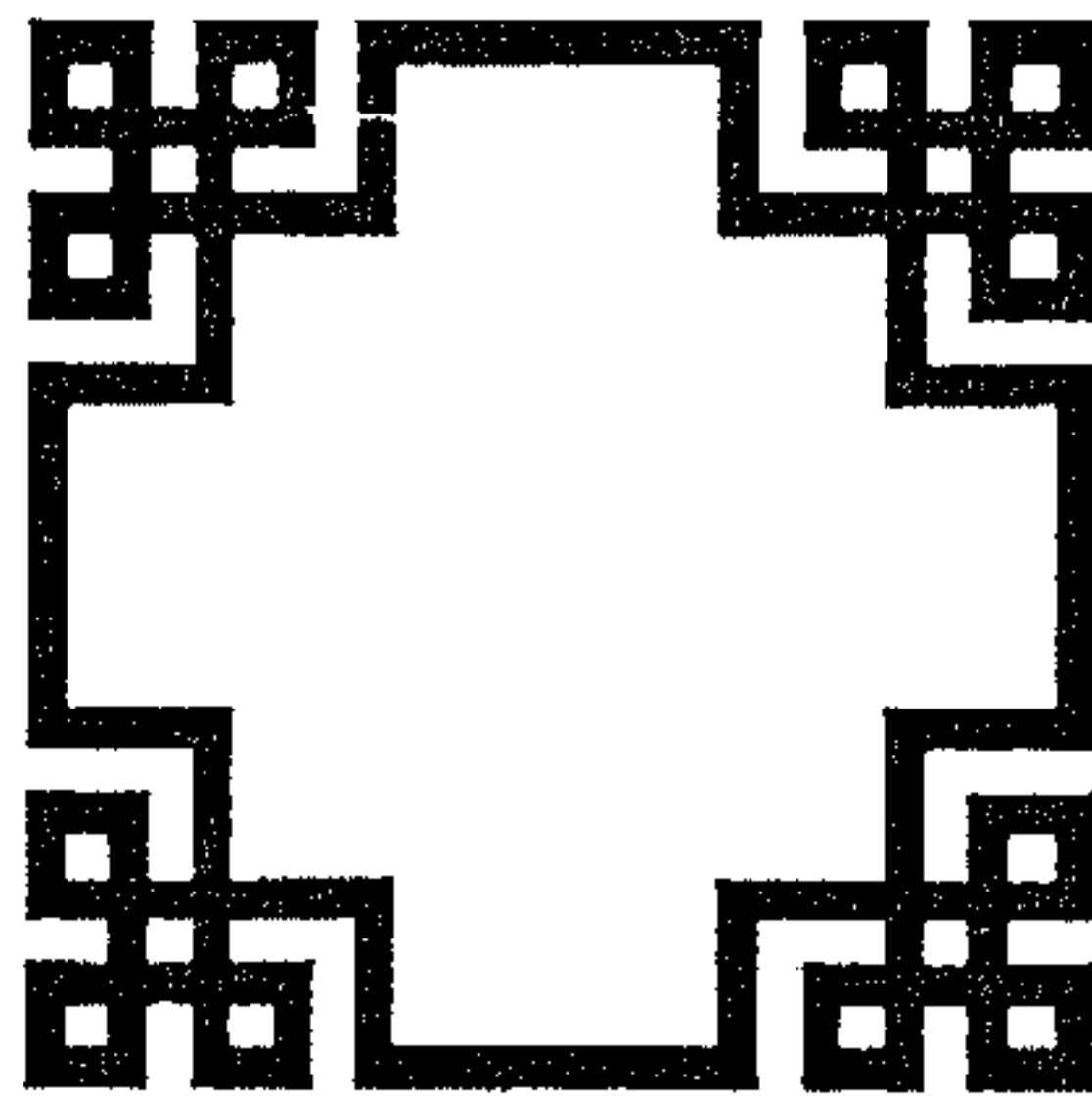
حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنها) :

هي أرملة خنيس بن حذافة الانصاري ، وزوجها من أشد أنصار الرسول ﷺ ، قاتل في سبيل الله ، حتى استشهد صابراً في غزوة بدر وأبلى فيها بلاء حسناً ، كلما أصيب بجرح ضمده وعاد إلى القتال مرة أخرى . وهكذا دواليك حتى مزقت النبال جسده فخارت قواه فخر صريعاً ملبياً نداء ربه تاركاً وراءه أرملة المنكوبة بفقده ، كانت في ميدان القتال تسعف الجرحى وتضمّد جراحمهم وتمد المحاربين والرماة بالطعام والماء وتشجعهم حتى حصل جيش المسلمين على النصر . اخبرت باستشهاد زوجها وأصبحت حزينة جداً ، وكتمت حزنها في قلبها المكسور .

ولما علم الرسول الأمين بحالها رق لها وتولى مواساتها فخطبها لنفسه وتزوجها إكراماً لزوجها الشهيد وتعويضاً لها عما أصابها في سبيل الله . ومكافأة لأبيها الكريم وهو الشخص الثاني بعد أبو بكر الوزير الأول .

ولم تكن رضي الله عنها ، مع ضعفها وحالتها المحزنة ذات بهاء وجمال بل تزوجها النبي ﷺ وقد بلغت من الكبر عتياً وهي أرملة وكان الرسول آنذاك قد بلغ الخامسة والخمسين من عمره في العام الثالث الهجري . فهل كان النبي شهوانياً بهذا الزواج ؟

ومما هو جدير بالذكر أن أبا بكر قام بجمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي ﷺ في مصحف واحد . ثم قام بتسليمه إلى السيدة حفصة في منزلها ولما توفاه الله طلب الخليفة الثالث عثمان بن عفان من حفصة القرآن لكتابه في نسخ عديدة لتوزيعها على البلاد الإسلامية الجديدة لدراسته وليحكموا به بين الناس .



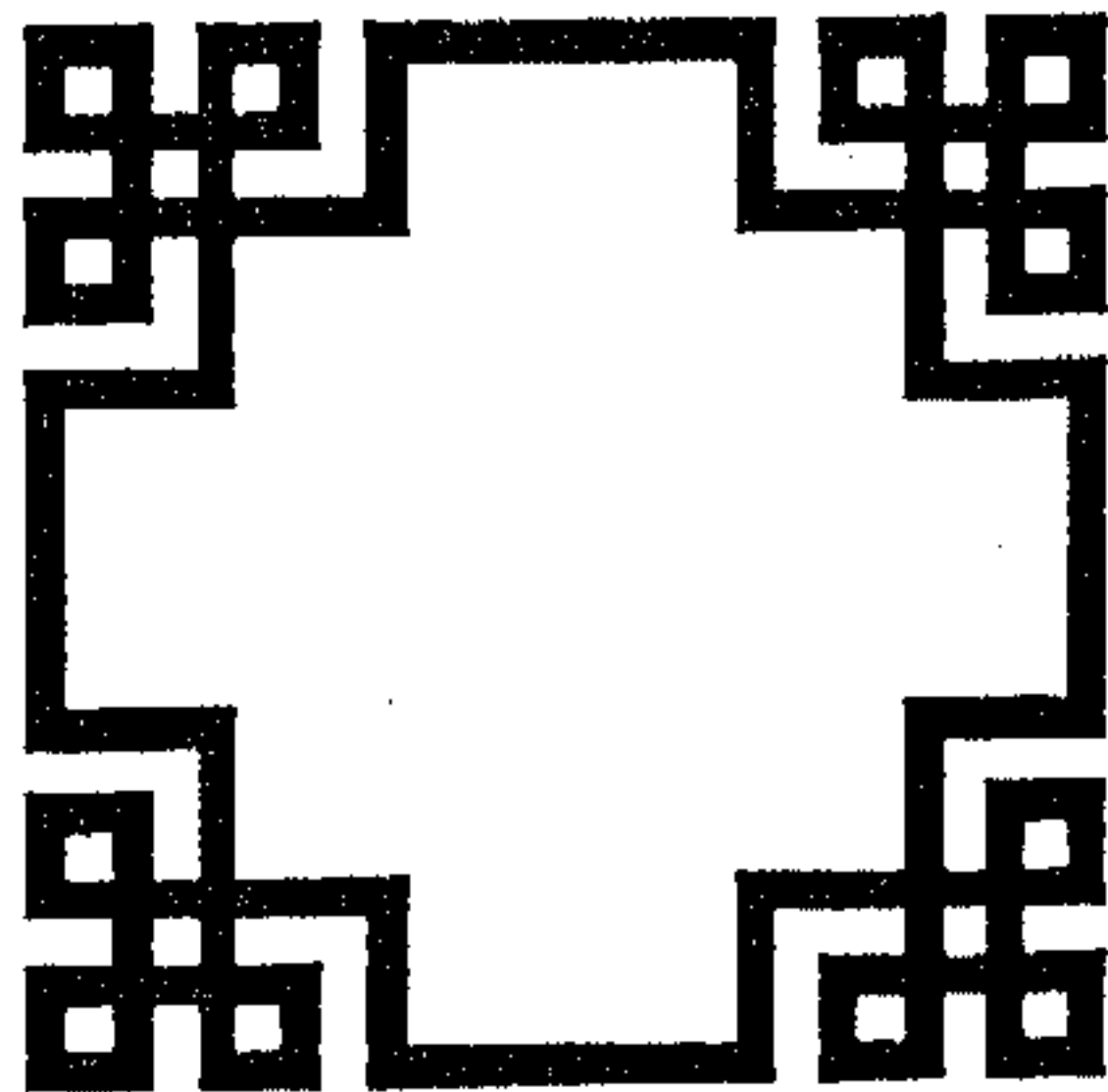
٥ زينب بنت خزيمة (رضي الله عنها) :

هي السيدة المؤمنة الصابرة في البأساء والضراء كانت تبلغ من العمر ستين عاماً حينما تزوجها النبي ﷺ - زوجها هو البطل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب أحد المحاربين الشجعان في معركة بدر في ١٧ رمضان من السنة الثالثة من الهجرة .

فقد خرج من صفوف قريش عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة وإبنة الوليد بن عتبة يطلبون المبارزة فخرج لهم ثلاثة من الأنصار ، ولكن المشركين اعترضوا وقالوا : يا محمد اخرج لنا أكفاء لقومنا ، فندب النبي ﷺ عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ، فقتل حمزة شيبه وقتل علي الوليد وأعان علي وحمزة بن الحارث في قتل عتبة ، وخرج عبيدة من المبارزة جريحاً ، ويسأل عبيدة رسول الله ﷺ سؤالاً واحداً : ألسنت شهيداً يا رسول الله ، قال أشهد أنك شهيد . ثم توفاه الله فدفنه رسول الله ﷺ وهو ابن أربع وستين سنة .

وكانت زينب بنت خزيمة تقوم بدورها مع نساء المسلمين في خدمة الجرحى وتضميد جراحهم وتقديم الطعام والماء لهم ، لم تشغلها إصابة زوجها عن الاستمرار في تأدية واجبها مع نساء المسلمين المجاهدات .

ولما علم رسول الله ﷺ بحالها واستبسالها وصبرها وثباتها وإنه لم يعد هناك من يعولها وينود عنها ويحميها ، أراد الرسول ﷺ أن يجزيها على إسلامها وجهادها وصبرها ومصائبها خيراً فخطبها لنفسه ، ولم تعمر عند النبي ﷺ سوى عامين ثم توفاه الله إليه راضية مرضية .



أم سلمة هندية بنت أبي أمية المخزومية (رضي الله عنها) :

رافقت زوجها « أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد » في هجرته إلى أثيوبيا فراراً بدينها ، وزوجها هذا هو بن عمه النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة .

وعندما عاد من أثيوبيا ، دعاه الرسول ﷺ إلى القتال في غزوة أحد وأبلى بلاء حسناً ، وقاتل قتال المخلصين المتعشقين إلى الموت حتى أصيب بجراح دامية ، ولما عوفي من جرحه هذا ، عقد له النبي ﷺ لواءً لقتال بني أسد فقاتل وكافح حتى عاودته جراحه واشتد عليه ألمه ولزم فراشه وقد زاره النبي ﷺ وكان إذ ذاك يحتضر فمكث النبي بجواره حتى توفاه الله . ثم عزي سلمة وربت على أكتاف أيتامها الأربعة : برة ، وسلمة ، وعمرة ودرة .

وبعد انقضاء عدة أم سلمة أرسل إليها النبي ﷺ وطيب خاطرها وأواها إليه وخطبها لنفسه إشفاقاً عليها ورحمة بأيتامها أبناء وبنات أخيه من الرضاعة إكراماً لأخيه الشهيد لثلاث تذل زوجته وأولاده من بعده .

ولما أرسل النبي ﷺ يخطبها إعتذرت إليه وقالت : «إني عجوز وأم أيتام وإني شديدة الغيرة» فأجابها عليه الصلاة والسلام وأرسل لها رسوله بقوله : الأيتام أضمهم إلي ، وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبأ بالسن فتزوجها بعد موافقتها .

هذه هي أخلاق النبي ﷺ ... ماذا تقولون عن هذا الزواج ؟ ... هل هو رجل شهواني ؟ الإجابة : بالتأكيد لا ... لأن عمره كان سبعة وخمسون عاماً . ولو كان النبي الأمين راغباً في اللذة والشهوة فما أوسع ميدانها أمامه وما كان أغناه عن مثل هذا الزواج من هذه الأرملة ذات الأيتام الأربعة .

كانت أم سلمة رضي الله عنها موصوفة بالعقل البالغ الراجح والرأي الصائب مثل ما حدث في يوم الحديبية (١) .

أمر رسول الله المسلمين أن ينحروا ويحلقوا يوم الحديبية ثلاث مرات فلم يمتثلوا لأمره ويدخل النبي ﷺ على أم سلمة غاضباً :

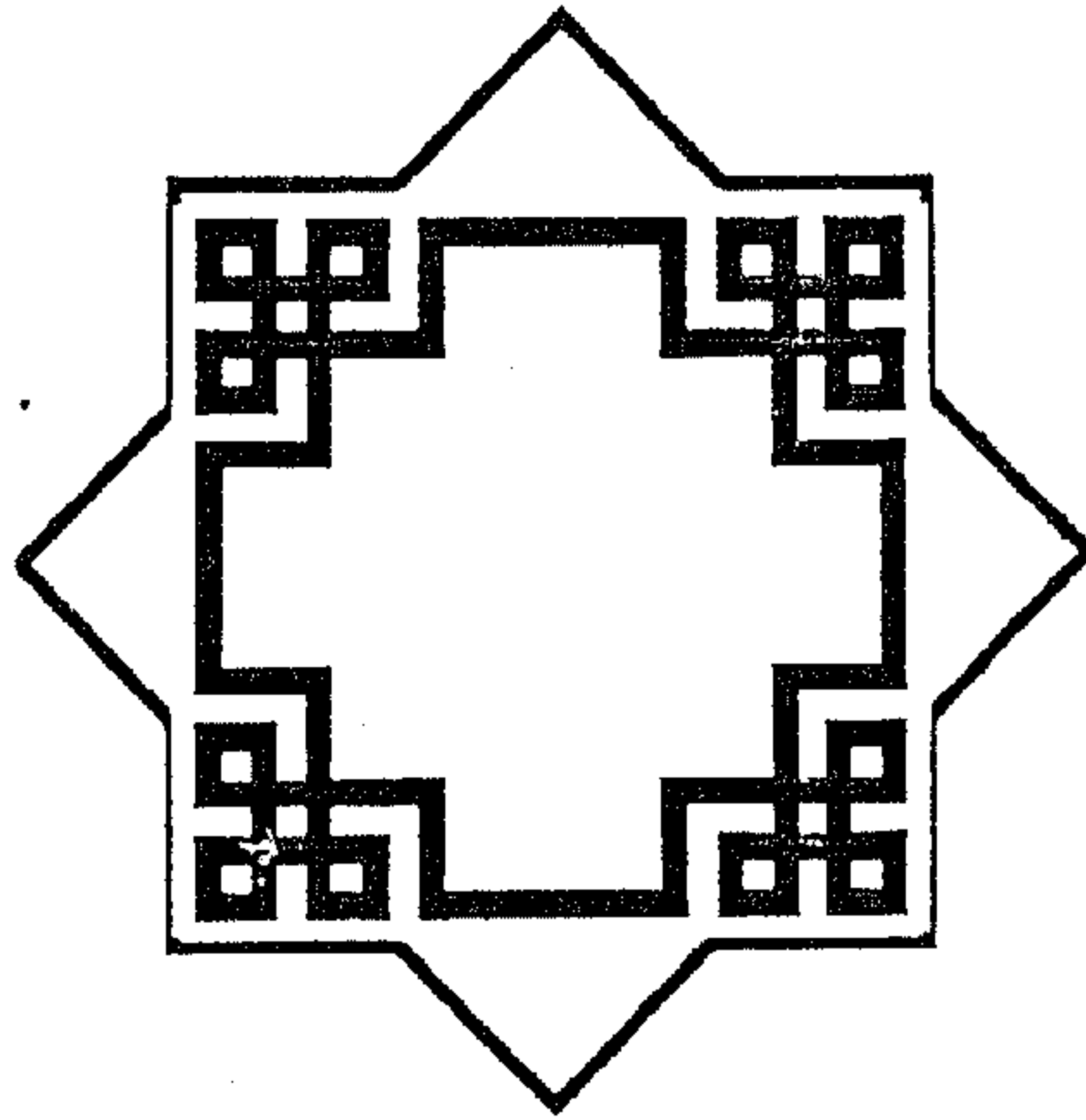
(١) د . علي ابراهيم حسن : نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب من ٢٨ .

- ما شأنك يا رسول الله ؟

- هلك المسلمون ، أمرتهم فلم يمتثلوا ، وذكر لها ما لقي من الناس .

- يا رسول الله لا تلمهم ، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ، وأرى أن تخرج ولا تكلم أحد منهم وتنحر بدنك وتحلق رأسك فإن صنعت ذلك وشاهدوك قاموا وصنعوا مثلك .

ولما فعل النبي ﷺ ما أشارت به أم سلمة رضي الله عنها نحو الناس وجعل بعضهم يحلق بعضاً .



زينب بنت جحش الأسدية (رضي الله عنها) :

تزوج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش الاسدية ابنة عمته أمية بنت عبد المطلب ومطلقة دعيه ومتبناه ومعتوقه زيد بن حارثة بن شرحبيل .

وقد كان لهذا لزواج شأن عظيم عند الناس ، ففي هذا الزواج ساوي الاسلام بين الحر والعبد ، ولم يعد العبد يشعر بعبوديته ولا الرقيق برقه . إذ أن العرب كانوا يأنفون من أن يختلطوا بأدعيائهم اختلاط مصاهرة أو نسب ، وفي هذا الزواج قضى الاسلام على بدعة التبني إذ كان الرجل منهم يتبنى له ولد لم يكن من صلبه فيتخذه ابنه ، ويعطيه حقوق البنوة المطلقة فيرث ويورث ولا يتزوج زوجته من بعده ولا يؤثر أحداً عليه .

فقد أراد النبي أن يزوج غلامه ودعيه «زيد» بأبنة عمته العربية الهاشمية . ، فأبت زينب ورفضت الزواج به إعتزاز بنسبها واستصغار بشأن زيد وأيدها في هذا الرفض أخوها عبد الله ، فنزل الحكم من الله العلي الحكيم بإنقاذ هذا الزواج طبقاً لما جاء في سورة الأحزاب الآية ٣٦ - ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ .

بعد هذه الآية الكريمة قالت زينب للنبي ﷺ : قد أطعك فاصنع ما شئت فزوجها النبي ﷺ إلى زيد ودخل بها وهو فرح مسرور . ولكنه بعد ذلك اخذ يلقي منها المتاعب إذ كانت تغلظ له في القول . وتتعظم عليه بشرفها وحسبها ونسبها حتى عافتها نفسه وضجر منها فذهب إلى النبي ﷺ شاكياً منها وطلب موافقة النبي على طلاقها فقال له النبي ﷺ أمسك عليك وإتق الله . وقد قال النبي ﷺ هذا وهو يعلم أن لا بد من طلاقها وإن الله سيأمره بالزواج منها بعد طلاق زيد لها إبطالاً لبدعة التبني . إذ أنه لم يكن جائزاً في الجاهلية أن يتزوج الرجل مطلقة ابنة المتبني . فحكمه عندهم كحكم الولد الحقيقي . والرسول ﷺ اتخذ زيدا ابناً له على عادتهم وزوجه من قريبتة زينب ثم إفترقا فأمر الله رسوله بالزواج من زينب من بعد طلاق زيد لها ليبطل حكم الجاهلية ويؤسس حكم الإسلام بناء على الآية ٣٧ من سورة الأحزاب : ﴿ وإذ تقول للذين أنعم الله عليهم وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك وإتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون

على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴿

وتفسير ذلك أن الله أمر النبي أن يتزوج زينب واعترض الناس على هذا الزواج . ولكن الله أنزل الآية ٤٠ من سورة الأحزاب ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ .

وأخيراً ، كانت زينب فخورة بهذا الزواج على نساء النبي ﷺ الذي أمر به رب العزة من فوق سبع سماوات بينما الزوجات الأخريات زوجهن أهلن .

آراء اثنين من المستشرقين^(١) والردود المنطقية على هذا الزواج :

لقد اخترت اثنين من المستشرقين المعاصرين لنرى مدى جهلها الكامل باللغة العربية ومدى تأثرهما بادعاء المعرفة وأكاذيب المضللين والمتعصبين ضد الاسلام ونبي الاسلام - فالأول غلبت عليه السلبية والثاني فيه كثير من الايجابية وهما :

١ - موريس جود فروا ديمومبين الفرنسي الجنسية الذي يقول في كتابه الكبير «محمد» الصادر سنة ١٩٥٧ ، ليس ثمة ما يدهش في اكتشاف الغالب من زيجات النبي سبباً سياسياً أو احتراماً لعرف ولكنه في الحال يرى أن هناك تجميعاً طبيعياً من التقوى ومن السياسة ومن الشغف بالملاذ في هذه الزيجات .

والذي يهمنى هنا أنه يقول عن زواج النبي بزینب أنه قصة هوى «أهتم بها القرآن الكريم كثيراً . ويدعي أن الرواية تؤكد أن محمد لم يكن يعرف مطلقاً ابنة عمته هذه . ومنذ زواج زيد بها لم تواته قط فرصة مقابلتها حتى كان ذات يوم في تفقده زيداً بمنزله أن تحدث إليها وكان يفصل بينهما ستار عبثت به الريح فبذت لعينيه المعجبة في شعار جذاب ثم انسحب ، لكن الزوج الذي شك في الحادث ذهب إلى أبيه بالتبني ليعلمه أنه يريد طلاق امرأته دون أن يكون لديه أي لوم عليها ، ولكن محمد معنياً بإخفاء هواه طلب إليه ألا يفعل غير أنه بلا شك قد انتشرت الإشاعة عن مقاصد النبي السرية . وأخذ اليهود والمنافقون يشغبون كما تقول الرواية ذلك إن للتبني الحقوق والواجبات نفسها التي للبنوة الطبيعية . فلا تتزوج البتة بإمرأة الابن^(٢) .

(١) تعريب د . محمد بدر : نساء النبي ص ٥٩ .

(٢) المؤلف : فمن الضروري إذن أن يتدخل الوحي وأن يبطل التبني وأن يقر طلاق زينب وأن يلقي بها في أحضان النبي .

والمستشرق الثاني هو وليام منتوجمري الشهير بـ «وات» :

ألف كتاب بعنوان «محمد في المدينة» وقد نشر بالانجليزية في لندن سنة ١٩٥٦ وترجم إلى الفرنسية ونشر بباريس سنة ١٩٥٩ في منشورات «بايوت» والإشارة هنا إلى تلك الترجمة (١) يقول الاستاذ «وات» وهو استاذ اللغة العربية بجامعة إيدنبرج في شأن تحريم التبني ما يعد رداً على المثال السابق نقله لدى الأستاذ موريس جود فروا ديمومبين ذلك أنه يقول (٢) : أنه غالباً ما يذكر أن إباحة زواج الزوجة السابقة لابن بالتبني إنما شرعت فقط لأن محمداً كان يريد الزواج من زينب وذلك استنتاج غير مبرر ، فتلك الحالة لم تكن وحدها التي استلزم فيها وجود الرابطة الحقيقية الطبيعية .

ثم أشار إلى الظهار (٣) وقال : إنه يبدو أن محمداً قد حورب من كل جوانب القرابة الصورية أو قد يمكننا القول : كل قرابة فهي إجتماعية تحد من حرية الفرد .
والأخطاء الكبيرة التي وقع فيها وات هي :

- الكتاب الغربيون لا يعرفون أوجه الخلاف بين الزواج والتسري والأخير يعني ملك اليمين .

- تصور الكاتب أن المحظية كانت مناسبة للعادات القديمة في نظام الاسرة الأموية كما وضحنا من قبل .

- عدم فهم «زواج الهبة» كما ورد في الآية ٥٠ من سورة الأحزاب ﴿ ... وإمراة مؤمنة وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ... ﴾ الآية .

هذه الآية واضحة جداً بمعنى أن زواج الهبة بمهر أو بدون مهر ليس هناك نوع ثالث من الزواج . وتفسير هذه الآية هي لرفع العار عن النساء الذين يقدمن أنفسهن للنبي . وبالتأكيد فإن النبي لم يحدث له ذلك .

(٢) الأصل الانجليزي الذي اطلع عليه الدكتور محمد بدر منذ سنوات لا يختلف عن الترجمة الفرنسية التي هي الآن بين يده إلا في ترجمة آيات القرآن ، لأن المترجمين إستبدلوا بترجمة المؤلف ترجمة مونية .

(٣) ص ٢٤٣ - وهو مع الأسف يتوهم - بعد أن يقول (ص ٢٤٢) إنه لا يعرف عن مزاولة التبني في عصر ما قبل الإسلام - إنه - ربما كان الرجل حينما يتزوج امرأة هي سيدة المنزل يصير تلقائياً أباً لمن يعيش في البيت من البنين والبنات وربما صار زيد بن حارثة ابناً لمحمد عندما تزوج خديجة لا عندما أعتقه وهذا التوهم قائم على وهم آخر هو أن العرب قبل الإسلام كانوا يعيشون نظام الأسر الأموية .

(٤) الظهار : كان من عادة العرب إذا غضب أحد من زوجته قال لها : أنت علي كظهر أمي فتحرم عليه .

- وقال المؤلف في صفحة ٣٤٥ أن بيوت نساء النبي حول المسجد وبين قوله غير الصحيح أن نساءه كن يسكن المسجد نفسه .

- وبعد أن يستعرض بعض الآيات الخاصة بزوجات النبي (١) يقول إنه إستعمل زيجاته وزيجات الأولين من أصحابه لأغراض سياسية وأنه كان في ذلك استمرار لعرف عربي قديم . فكل زواج لمحمد كان له إتجاه إلى تحييد علاقة سياسية وأخذ يذكر زوجاته ﷺ ابتداءً من السيدة خديجة حتى زينب بنت جحش وكانت الأسباب الاجتماعية أهم من الأسباب السياسية الأخرى وهو يعني بها تحريم التبني (ص ٣٥٠ من كتابه) وكذلك القرابة .

- فقد بررنا هذا في حينه .

- ويعود الاستاذ «وات» إلى الموضوع في نهاية الكتاب (ص ٤٠٠ وما بعدها) فيقول أن هناك إتهاماً أوروبياً ومسيحياً لمحمد إنه شهواني ولكنه يرى أن هذا الاتهام يسقط إذا فحص على نور من الأفكار التي كانت سائدة في عصر النبي محمد .

- وبررنا هذا في حينه .

- ثم يتهم النبي ﷺ بالفحولة (القوة الجنسية) التي تزيد عن الطاقة الإنسانية باختلاق ما لم يكن يتحدث عن إتجاه المسلمين الأولين إلى سوء الظن بالعزوبة والإعتراض عليها في كل الظروف . ويقول إن معاصري محمد كانوا يستحسنون أن يعدد روابطه بالزواج (لأنه يتلاءم مع وضعه السياسي) فثمة شيء شبه مؤكد هو أن سبب نقد معاصري محمد لم يكن الجانب الشهواني في هذا المسلك بل كان إعتراضهم زواج زينب بنت جحش - لأنه كان في أعينهم نوعاً من زنا المحارم لإعتبارهم الإبن بالتبني في المنزلة نفسها التي للابن الحقيقي .

والرد هو التفسير المقنع لآيات القرآن في هذه المسألة وهو التخلص تماماً من الافكار القديمة في التبني . والقرآن أيضاً يدل على أن محمداً لم يكن يريد زواج زينب خشية الإستنكار العام ولكنه فعله بإعتباره واجباً يفرضه الله تعالى .

(١) ص ٢٤٦ وما بعدها يقول كلاماً غاية في البعد عن الموضوعية بل التجني على كل القيم العلمية والفهم الصحيح لما ينبغي للباحث أن يقول ذلك وخلاصة كلامه المليء بالخطأ أنه ظن أن وراء الزواج هو التسري بملك اليمين - وترجمته بكلمة «Concubine» التي تعني خدينة أي صديقة وهو في ذلك مثل سائر الغربيين الذين يعسر عليهم فهم التسري .

- العرب لم يوافقوا الرسول على زواجه من زينب واعتبروه زناً لا اعتقادهم في حقوق المتبني مثل حقوق الإبن الشرعي .

- من المبالغ فيه أن نقول كل زواج له أغراض سياسية ولكن وجهة نظر النبي أن يحصل على المزايا السياسية كأحدى وسائل الضغط على أبي سفيان قبل الزواج من أبنته .

وليس من المحتمل أن جمال زينب قد أخذ بعقل النبي لأن عمرها بين ٣٥ - ٣٨ سنة وهذا السن عند العرب كبير جداً .

- لو أن نقداً وجه إلى نبوته . فإنه سوف لا يكون على أساس أخلاقي وإنما على أساس الشعوذة والخرافة .

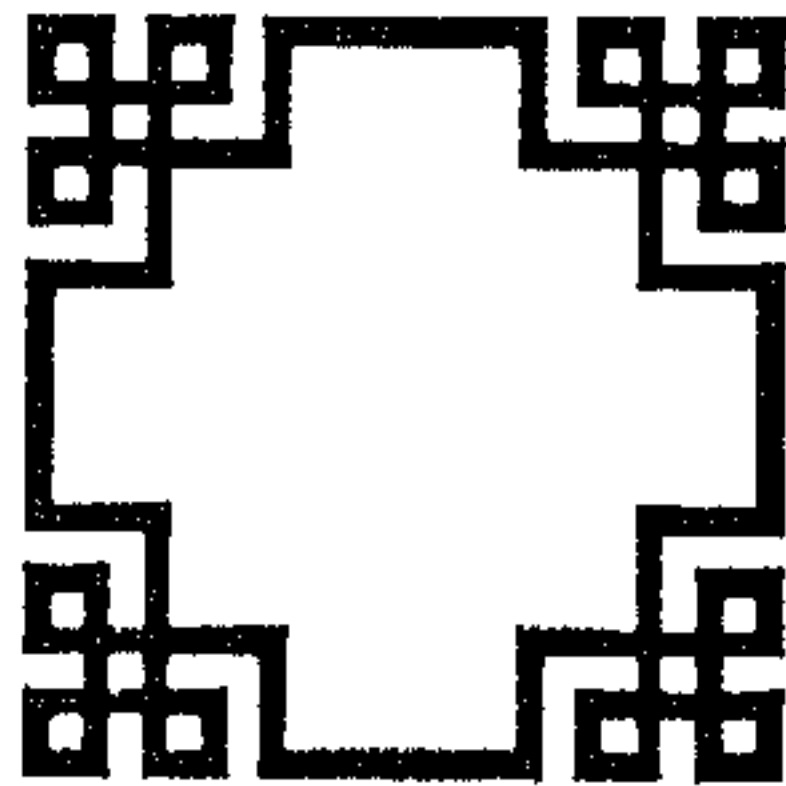
واستمرات في كلامه بالنسبة لعمر النبي وجيله كان محمد مصلحاً إجتماعياً وأخلاقياً .

- وسؤال أخيراً أشار إلى مشكلة معيار الزمان والمعاصرين بالنسبة للتبني ..؟

الأول - إن النبي فعل ما فعل متوافقاً تماماً مع عصره وجيله .

الثاني - هل كان تصرف النبي في ظروفه بين الزمان ومقتضياته والمكان ومقتضياته ؟ .

- نعم كان ذلك بالمعيار الموضوعي - يتفق مع ما يفعله أي إنسان سوي برىء من شوائب الأهواء والغرائز في عصرنا هذا وفي كل عصر .



٨ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار (رضي الله عنها) :

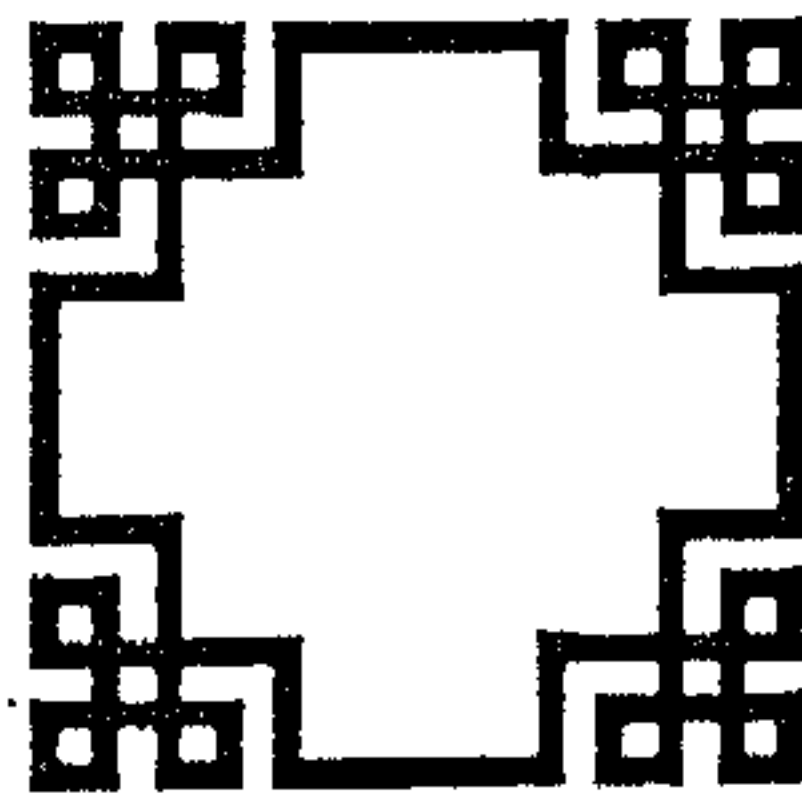
كانت إنتصارات المسلمين على الأحزاب في غزوة الخندق وعلى بني قريظة قد هالت بني المصطلق وسيدهم الحارث بن أبي ضرار والد السيدة جويرية فأخذ بنو المصطلق يعدون لغزو المسلمين وقتالهم ، ولما علم النبي ﷺ بنواياهم وتحقق منها قرر مهاجمتهم قبل أن يهاجموه وتم النصر للمسلمين في هذه الغزوة فقتلوا من اليهود عشرة رجال وحاصروا الباقين وأخذهم أسرى هم ونساءهم وذرايرهم وأموالهم وكان من جملة السبايا السيدة جويرية وهي أرملة مسافع بن صفوان المصطلق ، وكان زوجها هذا من ألد أعداء الإسلام والمسلمين وأكثرهم خصومة للرسول ﷺ .

وقتل يوم المريسيح (إسم عين ماء لقبيلة خزاعة) وترك هذه المرأة فوقعت في الأسر بين المسلمين ، والأسيرات من النساء كن يتخذن إماءً للبيع والخدمة ولا يسوى بينهن وبين الحرائر في شيء وهن محرومات من نعمة العتق إلا بالمكاتبه وشراء أنفسهن من مال الكهن .

فأراد النبي ﷺ إكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات فسوى بينهن وبين الحرائر وضرب للناس أمدق المثل على سماحة الإسلام وعدله بين الناس فتزوج النبي ﷺ بهذه (الامة) وألقى على الناس درساً عملياً في هذه المسألة وازال من أذهانهم ما كان قد علق بها من إحتقار الاماء والإزدراء بهن وعلم أصحابه كيف يجب أن يصونوا ربات البيوت وسيدات الأسر ويرحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم إفتقر .

وبعد زواج النبي ﷺ من جويرية أعتق المسلمون (١) جميع من كان بأيديهم من نساء بني المصطلق إكراماً لمصاهرة الرسول ﷺ .

ولما رأى بنو المصطلق هذا العفو وهذا الكرم أسلموا جميعاً وأمنوا بالله ورسوله .



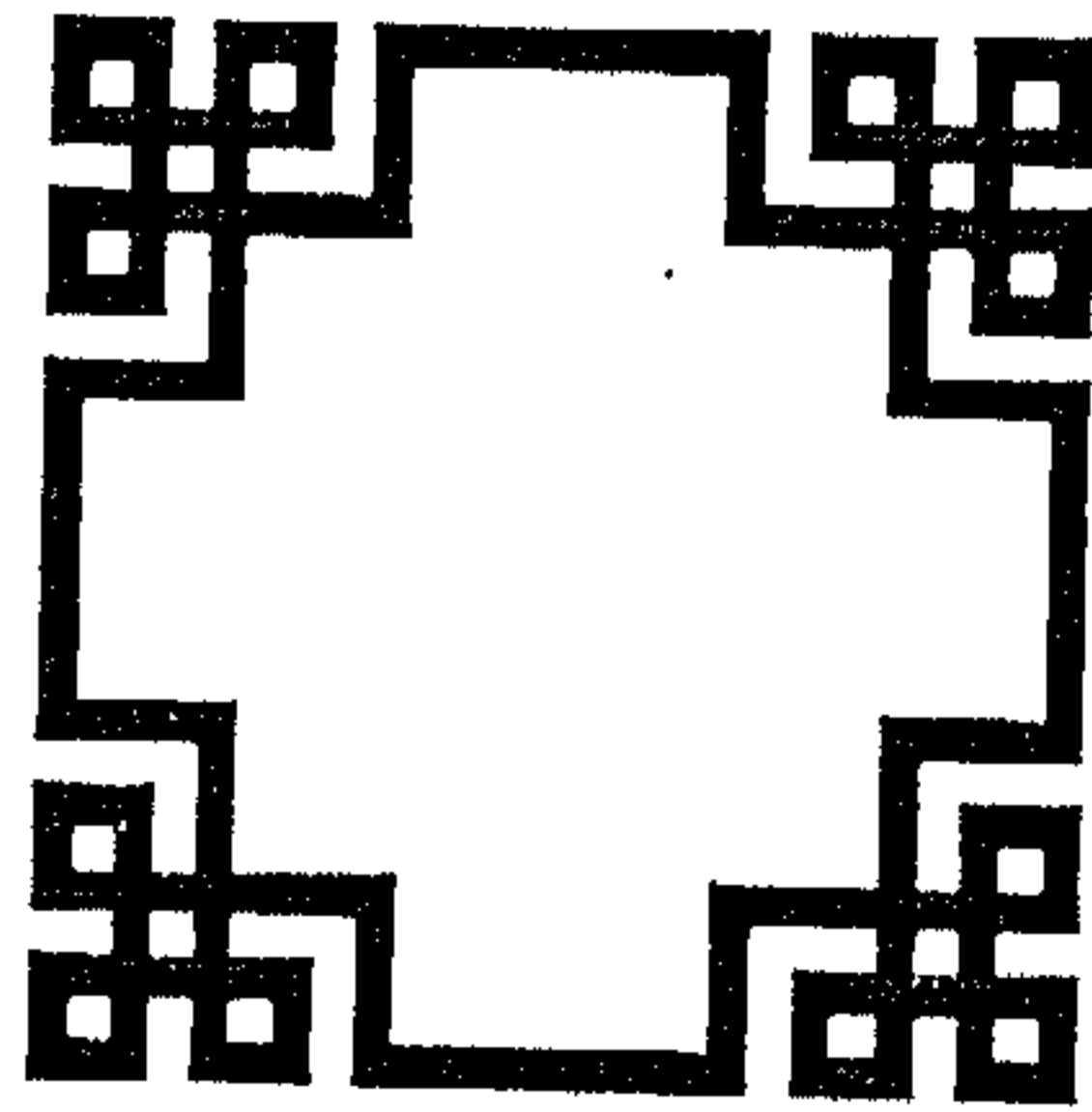
(١) د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ص ١٩٦ - ١٩٧ .

٩ صفية بنت حي بن أخطب (رضي الله عنها) :

هي أرملة «كنانة بن أبي الحقيق» ووالدها حي زعيم بني النضير وسيدهم وهو من أشرف بيوتهم ، زوجها قتل في غزوة خيبر (وهي بين يهود خيبر بزعامة أسير بن رزام يعدون لقتال المسلمين ، ويسعى النبي ﷺ إلى السلام والتعايش السلمي ولكن اليهود رفضوا السلام والتحم الفريقان وأنتصر المسلمون على يهود خيبر) وأسرت صفية ووقعت في يد المسلمين فأخذها «دحية» في سهمه ، إلا أن أهل الرأي والمشورة من الصحابة الكرام اجتمعوا فقالوا للرسول ﷺ : يا رسول الله إنها سيدة بني النضير وقريظة ولا تصلح إلا لك .

فاستحسن النبي ﷺ رأيهم وأبى أن تذلل هذه السيدة الشريفة في قومها بالرق والعبودية ممن تراه دونها في المكانة . فاصطفاها النبي ﷺ واعتقها وتزوجها ووصل هذا الزواج إلى قومها الذين دأبوا على مخاصمته طوال حياتهم .

وقد ورد أن النبي ﷺ خيرها بين العتق واللاحاق بأهلها وبين إقترانه بها ، فقابلت هذا الاستحسان بمثله ، فاختارت الله ورسوله وأعلنت إسلامها واخلاصها للرسول الأمين وتركت قومها وأهلها وعشيرتها إلى غير رجعة .



أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان (رضي الله عنها) :

أبوها أبو سفيان زعيم قريش (أكبر قبيلة في شبه الجزيرة العربية) ورئيس مكة ، وخصم المسلمين حينذاك ، وعدو الرسول اللدود وقد أسلم رجال مكة ونساؤها حتى ابنة أبي سفيان أم حبيبة أعتنقت الإسلام ، وفرت من وجه أبيها هاربة بدينها العزيز إلى أثيوبيا مع زوجها «عبيد الله بن جحش» وكان هذا الزوج قد أسلم أيضاً وهاجر إلى أثيوبيا بدينه فهاجرت زوجته أم حبيبة معه .

وفي أثيوبيا أضل الله هذا الزوج فارتد عن دينه الحنيف واعتنق النصرانية ديناً له ، فتبرأت منه أم حبيبة ولم تلن إلى توسلاته في طلب اللحاق به ، بل ثبتت على دينها الإسلام وتمسكت به فلاقت في وحدتها هناك في أثيوبيا الشدائد والأهوال . وواجهت المتاعب بالصبر والجلد - وهي خائفة من بطش أبيها بها وهو زعيم قريش وسيدها المطاع ، كما خافت أمها «هند» عدوة الرسول الأولى التي كانت تؤلب عليه الناس وتنفرهم منه . كما ضاقت أيضاً من بطش قومها وعشيرتها .

هذه المخاوف جعلت الكرب يشتد على هذه المؤمنة الصابرة وقد مات زوجها هناك في أثيوبيا على رده ونصرانيته ، فبقيت هناك وحيدة ، شريفة ، غريبة لا تدري ماذا تصنع؟ فتركت أمرها إلى الله وتوكلت عليه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

علم الرسول ﷺ بخبر هذه المرأة وحالتها المحزنة فكتب إلى النجاشي ملك أثيوبيا ليزوجه إياها ... ثم أبلغها النجاشي بذلك فكادت تطير فرحاً وسروراً فآكرمها النجاشي وأصدقها أربعمئة دينار مع هدايا نفيسة وسفرها مع شرحبيل بن حسنة معززة مكرمة ... ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي ﷺ .

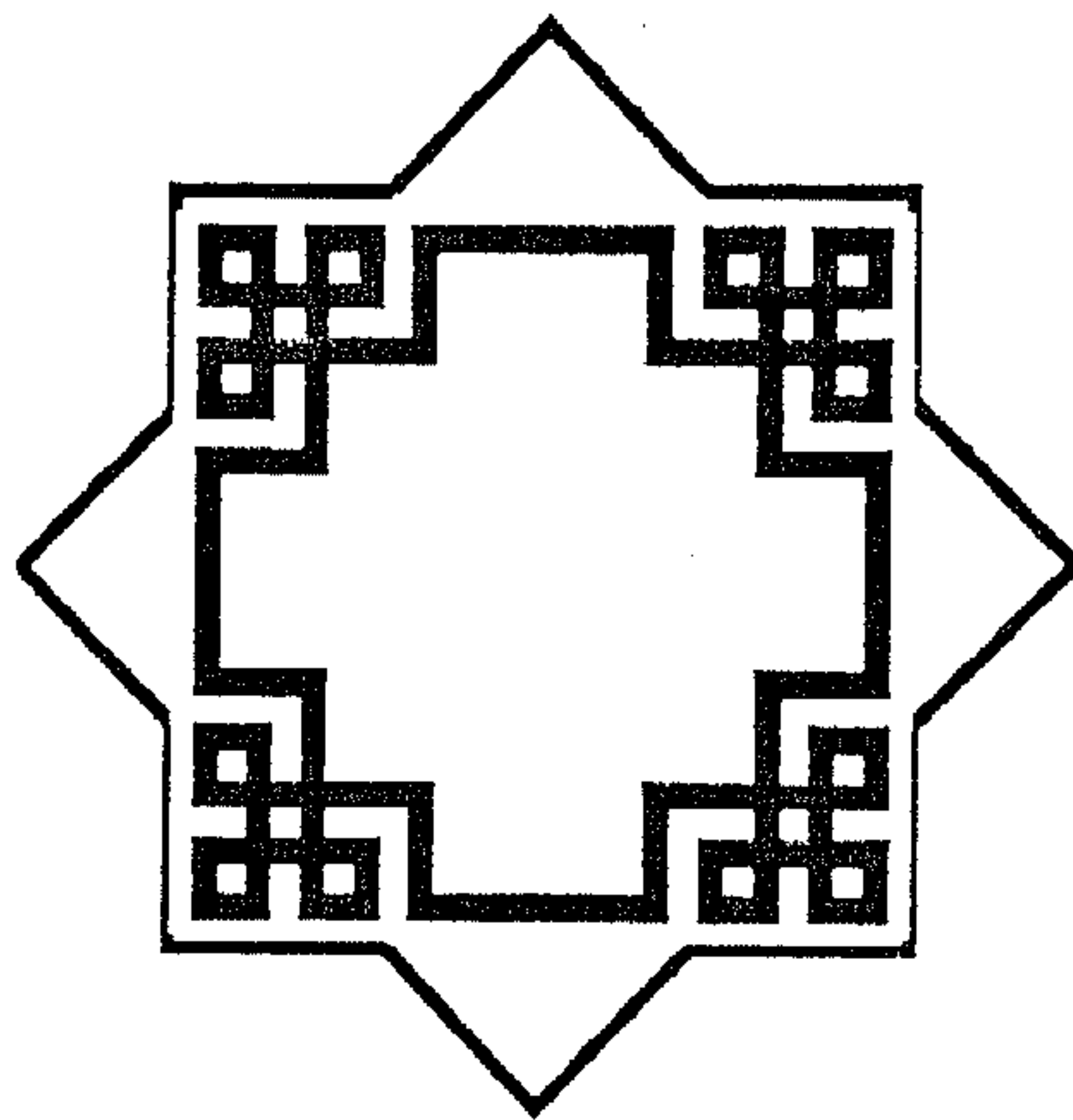
والذي تولى عقد النكاح في هذا الزواج الكريم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

وبهذا الزواج خفف الرسول الله من عداوة بني أمية له وقد حفظ التاريخ الإسلامي لأم حبيبة بنت أبي سفيان حادثة جميلة تدل على إيمانها الصادق وهي :

قدم أبو سفيان إلى ابنته أم حبيبة ذات يوم ليدعوها إلى الكفر ويغريها بالردة فدخل بيتها ، ولما رغب في الجلوس على فراشها طوته ومنعت يده من لمسه أو الإقتراب منه ، فاشتد غضبه وقال لها : أرغبة بهذا الفراش يا بنية عني ؟ أم بي عنه ؟ فأجابته

على الفور : بل به عنك ، لأنه فراش رسول الله وأنت رجل نجس غير مؤمن فغضب عليها وقال لها : أصابك بعدي شر . فقالت : (لا والله بل خير) .

والخلاصة : أن هذه المرأة أعطت أبيها زعيم المشركين - آنذاك - درساً بليغاً في الإيمان . وبعدها أسلم أبو سفيان بعد أن تألفه الرسول ﷺ وأحسن إليه إحساناً كثيراً . ويوم فتح مكة قابل الرسول ﷺ أبو سفيان وصاح منادياً «من دخل الكعبة فهو آمن . ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ومن دخل داره فهو آمن» . وكان دخول المسلمين مكة سنة ثمان للهجرة ، وأمن الرسول أهلها وعفا عنهم «لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء» .



مارية بنت شمعون (القبطية) :



أثناء إقامة الرسول ﷺ بالمدينة بدأ بإرسال الرسائل إلى الملوك والامراء والسلاطين في جميع البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً يدعوهم إلى عبادة الله الواحد وإلى عقيدة الإسلام بما فيهم المقوقس عظيم القبط في مصر والاسكندرية ثم بعث النبي إليه برسول «حاطب بن بلتعه» في السنة السابعة من الهجرة ليسلمه كتاب الرسول ﷺ وفيه يقول :

من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط .

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون ﴾ سورة آل عمران آية ٦٤ .

وختم الكتاب بخاتمه محمد رسول الله (يقرأ الختم من أسفل إلى أعلى) ولما دخل حاطب مصر كان المقوقس في الإسكندرية فسار حاطب إليها وقابل المقوقس وبعد قراءة الرسول ﷺ أرسل المقوقس كتاب إلى النبي ﷺ وفيه يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ...

أما بعد ... فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى . وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام . وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم .

- جاريتان هما : مارية وسيرين .

- بغلة شهباء ، حمارين ، فرس ، بعض من عسل بنها ، أثواب من نسيج مصر ، ألف مثقال من ذهب ، غلام .

خرج حاطب بهدايا المقوقس وقد بعث معه بعض جنده ، للحراسة حتى إذا دخل جزيرة العرب وجد قافلة قاصدة المدينة رد الجند ولحق بالقافلة .

وفي الطريق حدث حاطب الجاريتين عن الدين الإسلامي وأوصاف النبي ﷺ فشرح الله صدر الجاريتين للإسلام فأسلمتا بينما بقي الغلام على دينه ثم أسلم بعد ذلك في عهد النبي ﷺ .

وهب النبي ﷺ شاعره حسان بن ثابت سيرين وأحتفظ لنفسه بالسيدة مارية وأسكنهما في الجبل من أملاك بني النضير بالمدينة .

يروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خبر تحريم السيدة مارية قال : أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها ، فوجدت حفصة فقالت : يا نبي الله لقد جئت إلى شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي . قال : ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها . قالت بلى . فحرمها وقال : لا تذكر ذلك لأحد فذكرته لعائشة . فأظهره الله عليه . فأنزل الله الآية الكريمة ١ - من سورة التحريم ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفر يمينه وأصاب جاريته وأنجب منها ابنه إبراهيم ومات بعد سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً تقريباً .

ملحوظة : السيدتان مهاجرو مارية رضي الله عنهما :

ما أقرب الشبه بين السيدتين الكريمتين كلاتهما كانت مصرية وكلاتهما كانتا هدية .

- فهاجر كانت هدية من السيدة سارة إلى زوجها خليل الله أبي الأنبياء إبراهيم وقد ولدت ابنه البكر إسماعيل .

- مارية كانت هدية المقوقس إلى النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين . وقد ولدت له ابنه إبراهيم .

- وكلاتهما جيء بها من مصر إلى بلاد الحجاز لتسكن أولاهما مكة وتسكن أخراهما المدينة المنورة .

ويروى عن رسول الله أنه قال : إستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً .

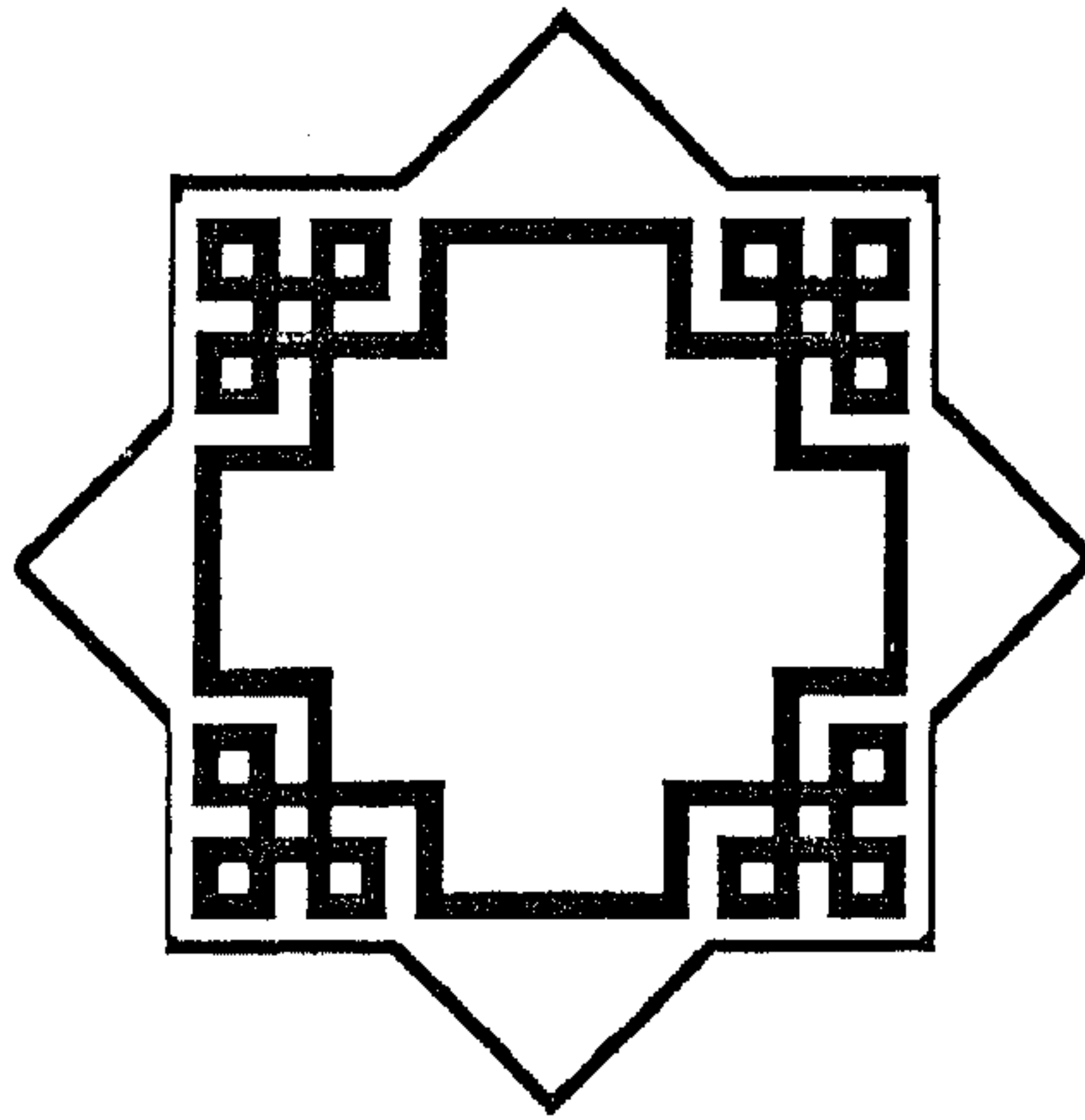
ميمونة بنت الحارث الهلالية (رضي الله عنها) :

في أواخر السنة السابعة للهجرة تزوج النبي ﷺ بالسيدة (ميمونة بنت الحارث) وجرى هذا الزواج بمكة في إبان عمرة القضاء . وهذه المرأة العجوز هي آخر امرأة تزوجها الرسول ﷺ وكانت زاهدة عابدة ، وقد قالت فيها أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : « أما إنها كانت من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم » . وهي أول امرأة أمنت بالرسول ﷺ بعد زوجته الأولى السيدة خديجة .

وفي غزوة تبوك كانت ميمونة في صفوف المجاهدين تسعف الجرحى وتواسي المرضى وتقدم الطعام والماء للمجاهدين المسلمين . ويقال إنها أول امرأة ألفت فرقة نسائية لإسعاف الجرحى ولقد أصابها في جهادها سهم من سهام الأعداء وهي تحمل الماء للمصابين فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه .

وميمونة هي أخت لبابة الكبرى ، وزوجة العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ .

وكانت المصلحة في هذا الزواج . فقد تقرب النبي ﷺ إلى الهلاليين قومها فأكبروا في الرسول هذه المرؤة والحمية والنجدة وبعدها أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجا ثم أزرأ الرسول ونصروه .



الباب الرابع

- زواج النبي ﷺ وخصومه
- الردود المنطقية على بعض
الأسئلة الموضوعية
- الختام
- بعض إنجازات الإسلام للحضارة
الإنسانية في زمن النبي ﷺ

زواج النبي ﷺ وخصومه :

من الواضح أن الذين يهاجمون أو ينتقدون الرسول بسبب تعدد زيجاته إنما يفعلون ذلك عن جهل تام بالظروف المحيطة بهذه الزيجات معتمدين في انتقادهم على ما سمعوه - أو قرأوه - من خصوم النبي وأعدائه الذين امتلأت قلوبهم بالحقد على الرسول . وقد عمد قسم من هؤلاء النقاد إلى استخدام ألقاب قاسية على النبي فوصفوه بالـ «شهواني» . أي المزواج ... حاشاكه . وقد استنفاد من هذه الانتقادات أعداء الإسلام ، فبات الطعن على الرسول بسبب تعدد زيجاته أحد أهم أسلحة البعثات التبشيرية النصرانية بين المسلمين .

للوصول إلى حكم دقيق في هذه المسألة ، لا بد للباحث من دراسة الظروف المحيطة بهذه الزيجات دراسة دقيقة وشاملة ما أمكن . ذلك أن وضع النبي كقائد دولة قد أدى إلى العديد من الزيجات . يضاف إلى ذلك أنه كانت هناك ظروف اجتماعية وإنسانية كامنة وراء قسم آخر من الزيجات .

ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا أن العديد من الأنبياء والرسل السابقين قد تزوجوا بأكثر من واحدة فلم يعب أحد عليهم ذلك ، فلماذا ؟

فإن كان زواج محمد بأكثر من واحدة سبباً كافياً للمبشرين النصارى للطعن بمحمد ، فكيف يبرر هؤلاء زواج داود بألف امرأة كما ورد في التوراة ؟

ثم إن دراسة مسألة تعدد الزيجات تقتضي دراسة شخصية محمد والتعرف على أخلاقه . فالزهد الذي عرف به محمد وتفانيه في نشر دعوة الإسلام وقيامه معظم الليل مجتهداً لا تترك مجالاً للشك في عفة نفسه وبعده عن الشهوات . كما أن الناظر إلى زوجات النبي أنفسهن يجد أن معظمهن كبيرات في السن لا يصلحن لإشباع الشهوات . وفي الوقت الذي كان الرسول فيه قائد الجزيرة العربية المطلق وبوسعه إحاطة نفسه بأجمل الجواري ، لم يفعل ذلك واكتفى بنسائه الهرمات إياهن . وبلغ من زهده أنه ، بالرغم من الثروات التي كانت بين يديه ، اشتكت نسائه من شظف العيش معه فاجتمعن وطالبنه بالمزيد من الرخاء المادي فغضب منهن وامهلن شهراً يفكرن فيه فإما أن يرضين بحالهن معه وإما أن يسرحهن سراحاً جميلاً ، وقد ورد ذكر ذلك في الآية الكريمة التالية :

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩) .

فرضي النساء ، وعلى رأسهن أم المؤمنات عائشة ، بكل شروط النبي امتثالاً بالآية الكريمة التالية :

﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ... ﴾ (الآية (الأحزاب : ٦) .

وهذا هو محمد الذي يهاجمونه ، أف يكون هكذا رجل شهوانياً ؟ فليشق من يهاجم رسول الله وخصوصاً المبشرون البروتستانتيون - أدوات الاستعمار - وليراجعوا سيرة محمد وأخلاقه .

الردود المنطقية على بعض الأسئلة الموضوعية :

١ - لماذا ميز الرسول عن غيره من البشر بتعدد زوجاته ؟ وهل منع التعدد على أتباعه ؟

للنبي وضع خاص مختلف عن سائر البشر لكونه نبي الله ورسوله وصاحب رسالة علاوة على أن كل زوجة كانت هناك غاية من ورائها . والرسول مع تعدد أزواجه لم يبلغ الحدود التي وصلها بعض الأنبياء المذكورين في التوراة . وقد أجاز الرسول لأتباعه التعدد على ألا يجمع الرجل أكثر من أربعة في الوقت الواحد .

٢ - لماذا كان النبي يقيد بعض حالات الزواج على الآخرين بينما هو لا ؟

- لأن نظام زواج النبي كان له الأسبقية لنظام زواج المسلمين وإن كان قد زاد عن إطار التعدد على باقي المسلمين ، وإذا قيد حالات الزواج إنما لاعتبارات اقتصادية واجتماعية وإنسانية .

٣ - ما هو ضابط القرآن الكريم لسلوك النبي بخصوص زواجه ؟

- إن سورة الأحزاب ، وهي السورة الرابعة التي نزلت في المدينة ، تخص زواج

النبي وقد نزلت بعدها سورة النساء ، وترتيبها السادسة في النزول ، لتنظيم تعدد الزوجات للمسلمين في الشريعة الإسلامية بجانب تنظيم المواريث وحقوق المرأة الإنسانية من زواج وطلاق وخلافه .

٤ - لماذا لم ينفصل النبي عن زوجاته الزائدات عن أربعة أو يطلقهن بعدما نزلت سورة النساء (قواعد وقوانين الزواج للمسلم) ؟

أولاً : آية التعدد في سورة النساء نزلت في العام الرابع الهجري بعدما تزوج النبي كلزوجاته (١) .

ثانياً : أن للنبي وضع خاص كما ذكرنا في الإجابة الأولى .

ثالثاً : سميت سورة النساء لأنها تتعامل بتوسع مع حقوق نساء المسلمين من زواج وطلاق ومواريث ، في حين أن أزواج النبي لهن أحكام إضافية خاصة .

٥ - ما حكمة أربعة زوجات للرجل الذي يرغب هذا العدد من النساء كما هو مبين في القرآن الكريم ؟

لا يستطيع أي رجل تحقيق العدل في المعاملة بين أكثر من أربعة نساء مهما كانت الظروف ، وفي الواقع قلة نادرة من الرجال الذين يستطيعون أن يعدلوا بين أربعة فكيف إذا زدن عن ذلك ؟

٦ - هل توجد عدالة للزوج بين أربعة زوجات ؟

- يكاد ذلك يكون مستحيلاً ... وإن الزواج بواحدة أقرب إلى الحق والعدل ، والقرآن الكريم أخبرنا بذلك في سورة النساء ... كآية التالية :

النساء ٣ - ﴿ وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ .

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد ١٩٦٥ القاهرة ص ٣٢١ .

٧ - هل للنبي محمد بعض السراري مثل داود وسليمان وأنبياء آخرين عليهم السلام ؟

- لا يوجد ... مع أنه رئيس الدولة الإسلامية الأولى وله الحق في امتلاك سراري كثيرة . مع أن القرآن الكريم أعطاه هذا الحق طبقاً للآية التالية : الأحزاب ٥٢ - ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾ .

ومن المعروف في الأزمنة القديمة إن الملوك والحكام في كل بلاد الفرس (إيران حالياً) والفراعنة في مصر كانت لهم مئات من السراري بجانب زوجاتهم الشرعيات ولكن النبي لم يكن عنده ذلك بينما الأنبياء السابقين كان عندهم كما ذكرت من قبل .

٨ - هل كان للنبي الحق في أن يملك زوجات من اللاتي عنده أو بغيرهن بزواج أخريات ؟

لا طبقاً للآية التالية :

الأحزاب ٥٢ - ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ... ﴾ (الآية) .

٩ - هل زوجات النبي مثل النساء الأخريات ؟

لا - للأسباب التالية :

أ - من اخترن حياة النبي الضنك عن حياة أزواج آخرين .

ب - من اخترن حياة الآخرة عن حياة الدنيا .

ج - كن يتعلمن الحكمة والحديث الشريف وتلاوة القرآن الكريم في بيوتهن وكن يهدين وينصحن ويعلمن النساء الأخريات .

د - كل واحدة منهن قدمت الكثير في سبيل الله .

الله ذكرهن في سبع آيات في سورة الأحزاب وكيف كان النبي يتعامل معهن في بيت النبوة كما جاء في الآيات التالية :

الأحزاب ٢٨ - ٣٤ - ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا

وزيبتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً، يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً، يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴿

١٠- هل توجد آداب أخلاقية لدخول بيت النبي ؟

قبل الإسلام (الجاهلية) لا توجد قواعد ولا قوانين لضبط المبادئ الأخلاقية، حتى العادات العربية لم تكن تمنع دخول البيوت بدون استئذان، ولكن القرآن الكريم نظم كل مظهر من مظاهر الحياة وخاصة بيت النبوة ويقال إن أحد أقارب الزوجات دخل بيت النبي بدون استئذان، بالإضافة إلى أن هؤلاء الزوار كانوا يقيمون في بيت النبي، وكانوا يذيعون نواياهم ليتزوجوا من زوجات معينة بعد وفاة النبي، ولكن هذه الأعمال كانت تؤذي شعور النبي، لهذا السبب أنقذه الله بالآية التالية :

الأحزاب - ٥٣ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فسألهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴿

وجدير بالذكر أن فترة نزول هذه الآية المذكورة أعلاه في السنة الخامسة من الهجرة قبل نزول الآيتين (٢٧، ٢٨) في سورة النور التي تنظم الإستئذان ودخول البيوت للمسلمين وهي :

النور : ٢٧، ٢٨ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى

تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أذكى لكم والله بما تعملون عليم ﴿

وبالإختصار أستطيع أن أقول الآتي :

بعد وفاة السيدة خديجة وعمه أبو طالب حاميه ، كان عمر النبي خمسون عاماً تقريباً ، وهو منطقياً لم يفكر أبداً في الزواج لعدة أسباب هي :

- في الحقيقة إنه كان صادقاً مع نفسه لأنه سوف يواجه تحديات وينبغي التغلب عليها .

- يريد أن يعيش في سلام هو والمؤمنون الجدد .

- لا بد وأن يكون أكثر نشاطاً للدعوة السامية .

- يجب أن يربي بناته حيث أنهن في سن الرعاية يحتجن إلى رعاية وعناية تفي بحياتهن اليومية .

- هو مشغول جداً وقلق على المؤمنين الجدد رجالاً ونساءً .

- بعض المؤمنين استشهدوا أو ماتوا تاركين وراءهم أرامل وأطفال بدون عائل ولا مال ، وآخرون مازالوا أحياء يقاسون الذل والعذاب من قبيلة قريش .

- لا يذاء شعور النبي زاد العرب في دفن الأطفال الإناث أحياء .

- بدأ العرب في تزيين الأكاذيب وتلفيق التهم ضد زواج بنات النبي .

- أرملة الشهيد لها الحق في أن تعيش مع عائل . وفي ذلك الوقت لم يكن هناك ميزانية في دولة جديدة للانفاق على أسر شهداء الحرب كما تفعل الحكومات الآن .

بجانب ذلك أكد النبي في المجتمع الإسلامي الجديد بعض العرفان بالجميل لهؤلاء اللاتي ضحين بحياتهن وأزواجهن في سبيل الله ورسوله .

كل هذه المشكلات التي حدثت في وقت واحد للنبي تفوق قدرات أي إنسان عادي .

العلاجات (١)

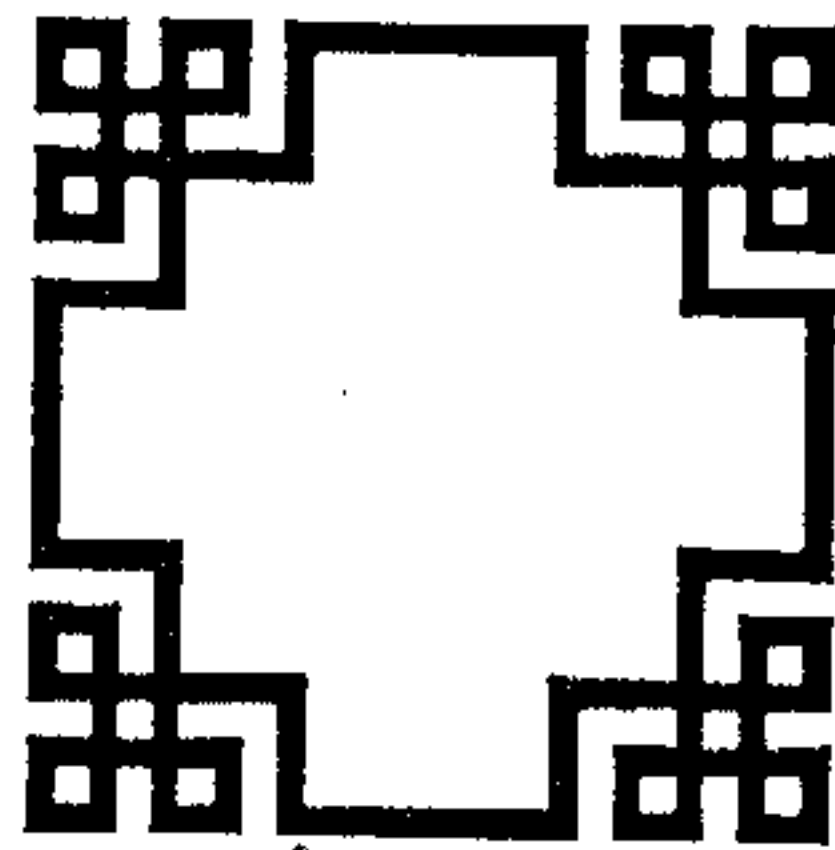
وفي النهاية ، فإن العلامة وات أعلن أن معظم العالم يخطو قدماً نحو وحدانية الله ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين .

ولا شك أنه سيأتي اليوم الذي سوف يعترف فيه العالم بمجموعة المبادئ الأخلاقية المحمدية ، ولهذا فإن واجب المسلمين الإعلان للناس أن النبي محمد كان إنساناً مثالياً ذو أخلاق عالية ويجب على المسلمين أن ينشروا سيرة حياته ، وأعماله العظيمة ومبادئه القيمة للرأى العام العالمي للحكم على أعماله والاستفادة منها .

ثم أضاف إن وجهة نظر العالم عن النبي كانت وما تزال لها صلة بمسلي الوقت الحاضر وسلوكياتهم الذين يستطيعون الدفاع بشجاعة عن نبيهم أمام العالم . وهم أيضاً يستطيعون إستخراج القيم العظيمة التي كانت للنبي ﷺ .

هذا من أجل تقدم الموقف الدولي الحالي للمسلمين ولو إن المسلمين أعلنوا عامة عن مثالية النبي وطريقته في حل المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية فإن المسيحيون على اختلاف مذاهبهم على استعداد أن يسمعوا ذلك وبالتأكيد سوف يأخذون من هذه القيم على قدر استطاعتهم .

حقاً إن الإسلام لديه المبادئ الأخلاقية العالية وعقلانية الأفكار الدينية ، المشكلة هي مشكلة العروض الجيدة المقبولة منطقياً وعالمياً .



(١) استاذ اللغة العربية بجامعة إيدنبرج - لندن - ألف كتاب «محمد في المدينة» ١٩٥٦ .

الختام :

تزوج النبي محمد من خديجة التي عوضته فقدان أمه وأبوه بعطفها ورحمتها . وكانت الوزيرة الصادقة والناصح الأمين والمستعارة المخلصة في كل شيء . فتهديء النبي عندما يكون قلقاً ، لقد أعطته المال عندما كان يحتاجه وعندما ماتت لم يتزوج النبي حتى إنتهاء فترة الحداد . هذا وفاؤه إلى أعلى وأخلص زوجة بعد ذلك تزوج زوجاته الأخريات اللاتي ذكرتهن من قبل .

إن النبي كان زوجاً مخلصاً وله كثير من الزوجات . كل زوجة كانت على قدم المساواة مع الأخريات . ويمضي كل ليلة مع واحدة ، وعندما يذهب إلى الحرب ، يقترح على زوجاته والزوجة التي يصيبها الاقتراع تذهب معه وبهذه المناسبة لقد تأمرن عليه في كثير من المرات . ومع ذلك كان يقابل كل مؤامرة بالعفو مثال : قصة تحريم أكل العسل وهي كالآتي :

١ - ذات يوم شرب النبي ﷺ عسلاً عند زوجته زينب بنت جحش فاتفقت عائشة وحفصة زوجتاه فتواطأتا عليه وقالتا أيتنا دخل النبي عليها فلتقل له : إنا نشم منك رائحة المغاير (هو نوع من الصموغ حلو الطعم كريه الرائحة) .

قال : لا . ولكني أشرب عسلاً عند زينب ولن أعود إليه وقد حلفت ولا تخبري بذلك أحد (١) فحرم على نفسه العسل .

فنزلت سورة التحريم ٣ - ﴿ وَإِذْ أُسِرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مِنْ أَنْبَاءِكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ . ثم كلفه الله أن يتحلل من يمينه بكفارة .

٢ - عندما رزقت السيدة مارية المصرية بطفلها إبراهيم أثار حقد وغيره باقى الزوجات اللاتي لم ينجبن طوال حياتهن الزوجية . بالإضافة إلى حب النبي لابنه قد أثار نار الغيرة عندهن .

وذات يوم حمل النبي طفله إبراهيم بين ذراعيه إلى عائشة لتقارن بين أوجه الشبه بين النبي وطفله ، أجابت عائشة ليس هناك شبه بينكما ومع ذلك لم يفضب النبي .

(١) أخرجه البخاري .

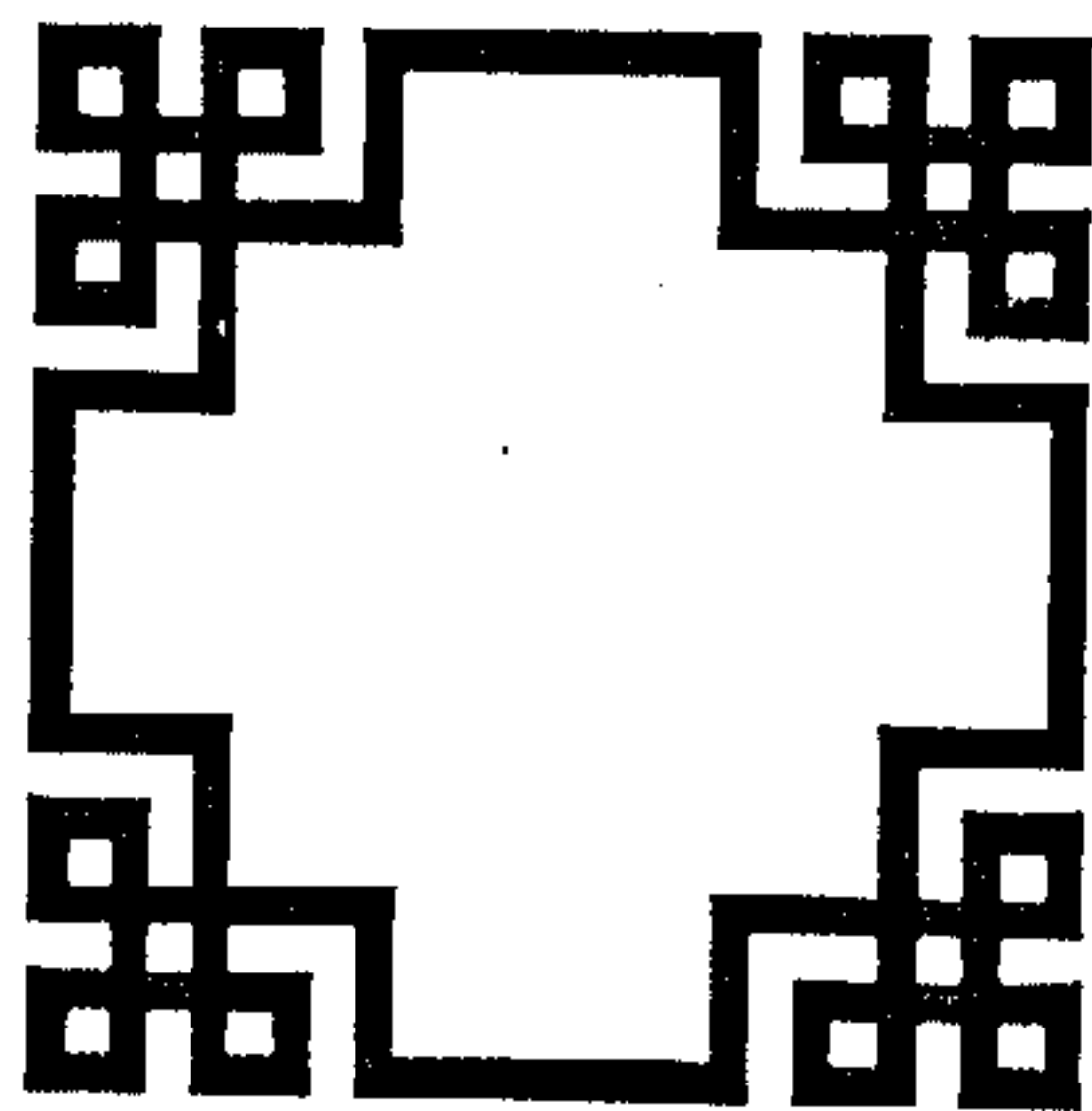
٣ - منح النبي زوجته وضعاً مشرفاً ، ولهذا فهن أردن مراجعته عدة مرات حتى أغضبته مرة وبالرغم من هذا فهو نصحن وحذرهن إذا لم يقبلن النصيحة بأنه سوف يتركهن ولا يقيم عندهن ، وأخيراً يطلقهن .

٤ - والنبي محمد ﷺ كان مهتماً جداً بنشر الدعوة لإسلامية ، ماذا يستطيع أن يفعل؟ ليضع حداً للصراعات والنزاعات بين زوجاته خاصة وأنهن أمهات المؤمنات ، هجرهن النبي لمدة شهر . ولهذا إنتشرت الشائعات بين المسلمين بأنه طلقهن وبمجرد أن سمعن هذه الشائعات ندمن على ما فعلن .

بالإضافة إلى النقاط الموضحة أعلاه ، أود أن أوضح أن الخليفة عمر بن الخطاب أعلن أمام الناس إن محمد لم يطلق زوجاته ، وفي نفس الوقت أنزلت الآية التالية في هذه المناسبة (بخصوص عائشة وحفصة) .

التحريم ٤ - ه ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً ﴾ .

هذا هو «محمد» الزوج الشهم النبيل الشجاع وفي نفس الوقت فإنه يهدد ويعاقب ويرحم ، ولديه طرق عديدة لكل زمان ومكان ، إنه كان معلماً ليعلم كل زوج وزوجته وأمته حتى يوم الدين .



بعض إنجازات الإسلام للحضارة الإنسانية في زمن النبي ﷺ :

هنا أستطيع أن أذكر بعض الانجازات الإسلامية الهامة للبشرية كردود للثمة الزائفة ضد الإسلام ونبي الإسلام .

كما أود أن أبين بعض البراهين الواضحة لمخاطبة العقل والفكر الإنساني والضمير الواعي وهي :

القرآن الكريم هو دستور العقيدة الإسلامية وكتاب الله الجامع الشامل لعلوم الدنيا والآخرة وبيان للناس جميعاً .

١ - أعطيت المرأة كافة الحقوق الإنسانية التي كانت محرومة منها في الجاهلية .

٢ - وضعت أساس المبادئ السمحة وأسس العلاقات الدولية .

٣ - منعت الحروب بين القبائل في شبه الجزيرة العربية باستثناء الدفاع عن النفس .

٤ - حرر العبيد وحرّم تجارة الرقيق .

٥ - أرسيت قواعد الكفالة الإجتماعية .

٦ - تكونت نواة أمة عربية التي تعرف حالياً بالعالم العربي وأمة إسلامية من مختلف اللغات .

٧ - صحح مفهوم التبني أو بالأحرى الكفالة .

٨ - منع دفن الأطفال الإناث أحياء .

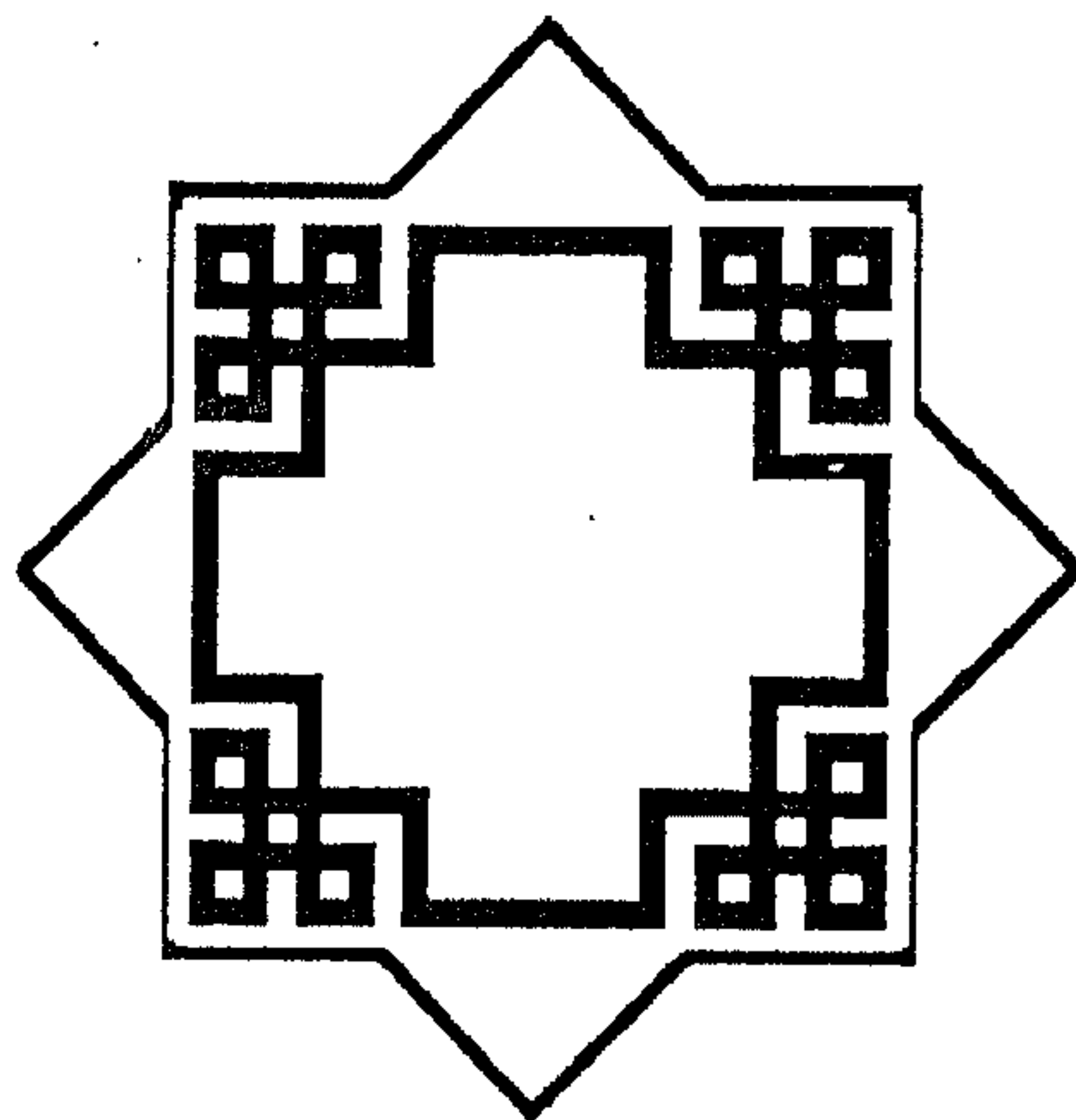
٩ - وضعت أسس الجهاد^(١) في سبيل الله بالنفس والمال والعمل الطيب في سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

١٠ - حطمت الأصنام حول الكعبة وبذلك ألغى عبادة الأصنام والأوثان ، وتم الإستيلاء عليها ، وأصبحت الجزيرة العربية تدين بالإسلام ووحداية الله .

١١ - بُنى أول مسجد في الإسلام ، وتعتبر مأذنته إعلان عن التوقيت اليومي للمسلمين بالنسبة للصلوات الخمس .

(١) د . نبيلة حسن محمد : تاريخ الدولة العربية ص ٥٧ .

- ١٢ - قُضِيَ على التفرقة العنصرية والتمييز العنصري ، ونادى بالمساواة بين البشر
فلا فرق بين أبيض وأسود ولا أحمر على أصفر إلا بطاعة الله .
- ١٣ - وضعت أسس الدين الإسلامي الخمسة (الشهادتين - إقامة الصلاة - وإيتاء
الزكاة - وصوم رمضان - وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً) .
- ١٤ - تحول إتجاه الصلوات إلى الكعبة .
- ١٥ - وضع نظام الشورى .
- ١٦ - تحول العرب البدائيين إلى أمة متحضرة .
- ١٧ - وضع حقوق الإنسان .



المراجع العربية والأجنبية المختارة

- ١ - ابن كثير : السيرة النبوية .
- ٢ - د . أحمد غلواش : عقيدة الإسلام [بالانجليزية] .
- ٣ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك .
- ٤ - ألان جيل كريست : النصوص الانجليزية الحديثة [بالانجليزية] .
- ٥ - جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير .
- ٦ - د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي .
- ٧ - سعيد هارون عاشور : نساء النبي مواقف وقضايا .
- ٨ - د . عائشة عبد الرحمن : نساء النبي .
- ٩ - عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه .
- ١٠ - عبد السميع المصري : محمد نبي الإسلام .
- ١١ - د . علي ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام .
- ١٢ - د . علي ابراهيم حسن : نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب .
- ١٣ - مارماديوك باكتال : معاني القرآن الكريم [باللغتين العربية والانجليزية] .
- ١٤ - محمد الصواف : زوجات النبي وحكمة تعددهن .
- ١٥ - د . محمد بدر : نساء النبي .
- ١٦ - محمد حسين هيكل : حياة محمد .
- ١٧ - محمد فريد وجدي : المصحف المفسر .
- ١٨ - منصور الرافعي عبيد : أفكار عن أمهات المؤمنين .
- ١٩ - موريس جود فروا : محمد - باريس [بالفرنسية] .
- ٢٠ - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية [معرب] .
- ٢١ - وليام مونتوجمري وات : محمد في المدينة [بالانجليزية] .

رقم الايداع ٤٦٠٢ / ١٩٩١

الرقم الدولي ٦ / ٠٥١ / ٢٠٨ / ٩٧٧